

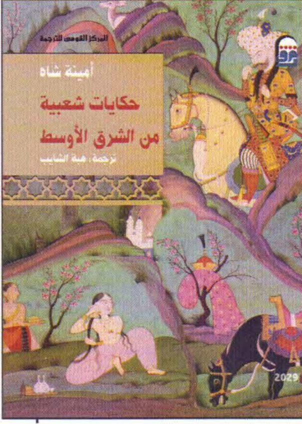
المركز القومي للترجمة

أمينة شاه

حكايات شعبية من الشرق الأوسط

ترجمة: هبة الشايب

2029



كان هناك صائغ يقوم بصنع مجوهرات رائعة حتى ذاع صيته فى الآفاق. لم يكن فى كل أسواق دمشق من يستطيع مضاهاة عمله. ذاع صيته لدرجة أن أمير الظلام بنفسه، إبليس الشرير، جاء ليلقى نظرة على بضاعته. كان الصائغ جالسًا يضع اللمسات الأخيرة لقلادة رائعة لسيدة؛ لترتديه فى زفافها، وعندما رأى الوجه الأسود الشرير للأمير الشيطانى وهو ينظر إلى المعروضات الرائعة المرصعة بالجواهر، تعرف على زبونه من قرونه.

تصميم الغلاف: عبدالحكيم صالح

حكايات شعبية من الشرق الأوسط

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2029
- حكايات شعبية من الشرق الأوسط
- أمينة شاه
- هبة الشايب
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

TALES FROM THE BAZAARS OF ARABIA:
Folk Stories from the Middle East
By: Amina Shah

نشرت هذه الترجمة بالتعاون مع آى. بى. توريس لندن، التى نشرت الطبعة الإنجليزية
عام ٢٠٠٨ تحت عنوان "حكايات شعبية من الشرق الأوسط"

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

حكايات شعبية من الشرق الأوسط

تأليـــف: أمينـــة شـــاه
ترجمـــة: هبة الشايـــب



2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

شاه ، أمينة
حكايات شعبية من الشرق الأوسط / تأليف: أمينة شاه،
ترجمة: هبة الشايب
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥
٢٠٨ ص، ٢٤سم
١- القصص الشعبية.
أ- الشايب ، هبة (مترجم)
ب- العنوان ٣٩٨,٢

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١١٠١٣
الترقيم الدولى : 978-977-216-151-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

حكايات من الأسواق

حكايات من تركيا

حكايات من بلاد فارس

حكايات من بلاد العرب

حكايات من أفغانستان

حكايات من الأسواق

زورا، ابنة الصائغ

كان هناك صائغ يقوم بصنع مجوهرات رائعة حتى ذاع صيته في الآفاق. لم يكن في كل أسواق دمشق من يستطيع مضاهاة عمله. ذاع صيته لدرجة أن أمير الظلام بنفسه، إبليس الشرير، جاء ليلقي نظرة على بضاعته.

كان الصائغ جالسًا يضع اللمسات الأخيرة لقلادة رائعة لسيدة ذات مقام عالٍ لترتديه في زفافها، وعندما رأى الوجه الأسود الشرير للأمير الشيطاني وهو ينظر إلى المعروضات الرائعة المرصعة بالجواهر، تعرف على زبونه من قرونه، وأطلق صرخة لحظة دخول ذلك الهيكل الطويل المتشح بالسواد إلى المتجر قائلا:

"ارحمني يا أمير الظلام، هل حانت ساعتي إذا؟"

ابتسم الشرير وأجاب "لا تخف هذه المرة أيها الصائغ الماهر. لم آت لأقبض روحك. لقد سمعت عن مهارتك وتمنيت أن أرى أعمالك الرائعة بنفسي. ما تلك الأشياء الرائعة المعروضة هنا في الواجهة؟".

"من فضلك خذ ما تريد ولك تحياتي" قال الصائغ، وأضاف "هذه مجموعة من السلاسل من أجود أنواع الذهب في العالم؛ أحجار كريمة على هيئة أسماك ذات عيون من الياقوت، فيل ذهبي ذو أنياب من حجر البشم، مجموعة من الخواتم المرصعة بالزمرد". ابتهج الصائغ لأن روحه لن تُقبض، لدرجة أنه كان على استعداد أن يعطي الشرير كل ما يملك كي ينقذ نفسه.

رد أمير الظلام "لا أريد شيئًا من ذلك الآن. احتفظ بها لي عندك وسأعود مرة أخرى لآخذها حينما أكون مستعدًا".

"كلها ملك لك، كل المعروضات" قال الصائغ متلعثمًا.

"حسنًا! كل المعروضات إذًا. احتفظ بها عندك لي وسآتي يومًا ما لآخذها. قد لا أريدها لسنوات، ولكن حين أريدها أتوقع منك أن تفي بوعدك، وإلا!".

"أعدك"، قال الصائغ بينما اختفى الهيكل الطويل المتشح بالسواد كأنه ومضة برق تاركًا وراءه رائحة كبريت خفيفة. اندفع الصائغ خلف المتجر حيث كانت زوجته.

"ساعديني يا عزيزتي أن أضع كل المعروضات التي في واجهة المتجر في صندوق، لن تصدقي من يريدها، إنه الشرير إبليس. كان هنا من لحظات وجعلني أعده بأن أحتفظ بالمعروضات له عندي حتى عودته".

"كل المعروضات التي في الواجهة؟" صرخت الزوجة.

"نعم! نعم! ولكن من حسن الحظ أنه لم يأتِ من أجلي أنا؟ ألا تلاحظين ذلك؟ لقد انصرف راضيًا، أظن ذلك".

"آه يا زوجي الأحمق"، صرخت الزوجة. "انظر! ابنتنا الصغيرة في واجهة المتجر تلهو بالأقراط الذهبية، والشرير يريدها أيضًا بلا شك".

عاد الصائغ ليلقي نظرة على واجهة المتجر، وتأكد من وجود طفلته الصغيرة الحبيبة زورا تلعب هناك.

"بسرعة يا زوجتي" قال الصائغ، "اذهبي إلى صائغ الفضة وأحضري معك أوقية من الفضة النقية".

فعلت السيدة مثلما أُمرَتْ، وسرعان ما شرع الصائغ في طرقها كي تصبح حلقة من الفضة، ونقش عليها آية كريمة من القرآن لتحمي طفلته من مكائد أمير الظلام الشرير، وطلب الصائغ وزوجته من الملا أن يرش ماء زمزم المقدس على الحلقة التي علقاها في خيط حريري وألبساها للطفلة، وأخبراها بأنها يجب ألا تخلعها من رقبتها أبدًا وإلا سيأخذها الشرير بعيدًا.

مرت السنوات ولم يعد الزائر الشيطاني، لدرجة أن الصائغ وزوجته نسيا تلك الحادثة برمتها إلى أن ظهر الشرير مرة أخرى في المتجر.

"أتيت من أجل كنزي"، قال الشرير، "أتذكر وعدك؟"، "الفتاة الآن عمرها سبعة عشر عامًا، أليس كذلك؟"

بكى الصائغ قائلاً: "يا أمير الظلام العظيم، أبقِ على حياتها، أبقِ على حياتها أرجوك، خذني أنا، واترك ابنتي زورا لتسعد بحياتها، أتوسل إليك".

في تلك الأثناء كانت الزوجة قد جاءت وركعت على ركبتيها متوسلة، لكن الشرير غضب غضبًا شديدًا وصاح فيهما كي يحضرا الفتاة، حيث إنه كان يريد العودة للعالم السفلي بعد يوم عمل طويل، حيث كان ينتظره عمل مهم جدًا.

دخلت زورا إلى المتجر بعد أن سمعت الجلبة، وابتسمت بكل براءة في وجه أمير الظلام الطويل، بينما كانت أصابعها تعبث بتعويذتها السحرية.

"حسنًا إذًا"، عبس الشرير في وجهيهما وهو مفتون بجمال الفتاة، متشوقًا أن يبدو رائعًا في نظرها. "سأعطيكِ سبعة أيام أخرى مع والديك يا عزيزتي، بعدها لا بد أن أعود لأطلبك عروسًا لي"، قالها واختفى في سحابة من الدخان.

فكر الصائغ فى حيلة؛ أن يصنع دمية تشبه ابنته، ويخفي ماكينة بداخلها تجعلها تمشي وتتكلم مثل الإنسان الحي. أمضى أيامًا وليال في صناعة تلك الدمية، وفي اليوم الذي كان من المفترض أن يأتي فيه الشرير، أخفى الدمية الجميلة المعطرة خلف ستارة حديدية في انتظار الشرير. عندما ظهر الأمير الشيطاني كان عصبي المزاج. قال: "فلتأتِ بها الآن أيها الرجل العجوز، أعطني ابنتك وإلا سوف أرسل بعض وحوشي ليحرقوا هذا المكان عن آخره".

شاخصًا ناحية الستارة، قال الصائغ: "تعالي يا زورا، هذا هو إبليس الجبار أمير الظلام، جاء ليأخذك لمملكة العالم السفلي، هلمي! اذهبي معه بأقصى سرعة". جذب الصائغ العروسة وخلع التعويذة الفضية عن رقبتها، ووضعها فوق الخزانة التي كانت تختبئ بداخلها ابنته الحقيقية.

انفرجت الستارة وأتت الدمية من ورائها محركة رموشها بصورة مثيرة، أخذها الشرير وحملها إلى أسفل، وعندما وصل إلى عالمه وضع إبليس المخدوع عروسه على عرش رائع، مزين بجواهر رائعة. كان متشوقًا ليريها مملكة النار.

في تلك الليلة وفي إطار الاحتفال بالعروس الجديدة، أقام الأمير مأدبة على شرفها. كان على الخدم أن يُجلسوا زورا الجميلة على يمين أمير الظلام في صالة الطعام الرائعة في قصر اللهيب الأبدي. قُدم النبيذ في كئوس براقة لإبليس، الذي كان في غاية السعادة لأن العروس تدير رأسها نحوه وتبتسم له مبدية إعجابها بكل كلمة يتفوه بها. وضع الخدم الكثير من الفحم على النار. صب النبيذ وأُحضر الطعام، كان الأمير يشعر بارتياح وهو متشوق لما هو آت.

فجأة، بدأت الدمية الجميلة المصنوعة من الشمع في الذوبان. كلما وضع الوحوش الزيت على اللهب، مالت العروس للأمام... ثم سقطت في النار. في ثوان

التهمتها النار ولم يبقَ لها أثر. وقفت الوحوش مبهوتة. كيف لهم أن يخبروا سيدهم بما حدث؟ كيف سيستقبل الخسارة؟ ما العقاب الذي سينالونه جزاء إهمالهم؟ مال كل منهم على شوكته وعيونهم تكاد تخرج من رءوسهم، وحوافرهم ساخنة، وذيولهم ترتعش من التوتر والقلق. كان الأمير يشرب ويأكل ويتبادل النكات مع ضيوفه المختارين لتلك المأدبة ولم يلحظ شيئًا.

أخيرًا، ذهب أحد الوحوش، الذي كان أشجعهم، وهمس في أذن الشرير اليسرى. "ماذا؟"، صرخ الأمير "سقطت في النار واحترقت؟ حسنًا! لا طائل من وراء أولئك البشر. كانت قد أتت من توها. يجب أن أكون قد فقدت عقلي حين كنت أظن أنها يمكن أن تعيش هنا للأبد أميرة لي. اذهب واجعل النار أكثر سخونة. فلنستمتع الليلة!"

وهكذا أصبح حفل تلك الأرواح الملعونة أكثر سعادة، امتلأت كئوس النبيذ مرة أخرى، مُلئت الأطباق بأكوام الطعام، ولم يعد إبليس أمير الظلام يفكر في زورا ابنة الصائغ مرة أخرى.

الشيخ والمريد

ابتسم الشيخ ذو العباءة المصنوعة من وبر الإبل والعمامة البيضاء حول رأسه، لنفسه في وميض النار في الخان. ونحى جانبًا كأس الماء ذا التصميم السوري الراقي قائلاً للجمع أمامه: "إخواني، لو أذنتم لي أن أقص عليكم قصة سمعتها من جدي وأنا صغير؟ حسنًا. إنها قصة رويتها وأعدت روايتها ولا أمل منها أبدًا. من الأفضل أن أبدأ من البداية" .

"كان هناك شاب صغير أراد أن يسافر إلى كهف فى أعلى جبل في الهملايا، حيث يعيش في ذلك الكهف في سلام وسكينة حكيم مشهور يعرف بـــ "الشيخ".

كان معروفًا بحكمتهِ وعلمهِ ونقائهِ الروحي. عقد عبد الله، وهذا اسم المريد الشاب، العزم على أن يغالب الطريق الطويل والخطر إلى كهف الشيخ آملاً أن يلقى القبول ليدرس فلسفة القدماء وبالتالي تتهيأ له مفاتيح النجاح، وبوابة القوة الروحية لقهر قوى الجهل. لبلوغ ذلك الهدف قام بتدريب نفسه على تسلق الجبال وجمع مخزونًا من الفواكه المجففة والمكسرات لتعينه على تلك الرحلة، وانطلق – فتيًا وشغوفًا – صوب هدفه.

كان أبواه يدركان أن هذه الرحلة أهم شيء في حياته؛ لذا لم يحاول أيهما إثناءه عنها. صلواتهما ودعاؤهما كانت ترافقه في رحلته.

كان الفصل ربيعا، وساعدت الأزهار الرقيقة في رفع معنويات عبد الله. كلما شعر باليأس، سرَّت عنه الطيور البرية بصيحاتها الموسيقية حتى سار واثق الخطى بين كل المنحنيات والطرق، وصعد لأعلى ليصل إلى عرش صخري أملس مستدير عند مدخل كهف الشيخ. كان الضوء قويا على جانب الجبل، وفي الوهج المضيء كان الشيخ جالسًا يشع بحكمة السنين. كان جسمه نحيلاً، ولملابسه لون الصخور نفسها، وعيناه سوداوان لامعتان في صفحة وجهه. نظر إلى عبد الله وهو مضطجع إلى الخلف في عرشه الحجري كما لو كان بعوضة أو حجرًا بجانب التل.

تعثر عبد الله ووقع ثم استجمع نفسه مرة أخرى، وألقى بنفسه عند قدمي الشيخ وهو لا يستطيع التقاط أنفاسه، ولا يكاد يصدق نفسه بعد أن وصل أخيرًا، ولديه إحساس ببلوغ هدفه المنشود من الاستنارة الروحية بعد ثوان. بدأ بتفاصيل عن نفسه بمجرد أن شعر بالراحة نوعًا ما، استند على ركبتيه المتهالكتين وأفصح عن رغبته الكبيرة في أن يرى العجوز شيخ ويستمع إليه. كان وجه الشيخ شاحبًا ويبدو عليه عدم الانشغال بشيء ثم تحول إلى الحمرة والغضب. أشار إلى أسفل الجبل حيث أتى الشاب، وقال: "اذهب" .

بدأ عبد الله في التوسل والرجاء "خذني تلميذًا لك، سأبقى لأتعلم مهما طالت المدة. أريد أن أجد الطريق. أرجوك أيها الشيخ، لا تردني جائعًا وعطشان للمعرفة كما أنا الآن. ارأف بحالي" .

قام الشيخ بانسياب كحيوان رشيق وأخذ بعض الفواكه المجففة والمكسرات وقنينة ماء من حافظة بجانب عرشه. وقدمها لعبد الله الحزين طالبا منه الأكل والشرب، ثم أشار إلى الطريق أسفل الجبل مرة أخرى وقال: "اذهب".

جلس مرة أخرى على العرش يتأمل بياض الثلج بينما المريد، باعتبار ما سيكون، يأكل ويشرب. ثم بإشارة من الشيخ وضع ما تبقى من الطعام في حافظته وسأل: "أليس لديك رسالة لي؟"، "لقد قمت بهذه الرحلة الطويلة لأحقق هدفي في أن أراك. أرجوك أرشدني لأعيش حياتي، وعلمني أن أساعد غيري لأنجح حيث آمل في النجاح بعد أن أتلقى التدريب على يديك".

التقت عينا الشيخ السوداوان اللامعتان بعيني عبد الله المغرورقتين بالدموع. لم تكن عيناه قاسيتين، بل مخترقة لروح عبد الله. للمرة الثالثة أشارت أصابع الشيخ الناتئة العظام إلى الطريق أسفل الجبل.

"أكرر كلماتي لك، اذهب، اذهب، اذهب! وتَعلّم كما تريد، وكيفما شئت".

وتغطت العينين السوداوين مثل الكهرمان الأسود بطبقات من الجلد الرمادي؛ حيث أغمض الشيخ عينيه ليغط في سبات واضح.

طُرد عبد الله.

ذهب من حيث أتى. عندما اشتدت وعورة الطريق استراح، ولكن قبل اختفاء آخر شعاع ضوء كان قد وصل إلى الطريق الذي يعرفه لهضاب الهملايا جانب بيته. كان يأكل إحدى حبات الفواكه المجففة والمكسرات التي أعطاها له الشيخ، ثم أنعش نفسه ببعض الماء من ينبوع صخري وأخذ يذرع الطريق وثبًا. ساعده ضوء القمر في الوصول إلى البيت، لم يعد يشعر بالحزن، بل كان يغني بعض المقاطع من أغنية لنفسه وهو يمشي. على نحو ما، كان يشعر بالحيوية والنشاط كما لم يشعر من قبل بسبب رؤية الشيخ.

عندما عاد إلى البيت، وعلى الرغم من سعادة أبويه بعودته، أمطرته أمه بوابل من الأسئلة "ماذا تعلمت من الشيخ يا بني؟ ماذا قال؟ ماذا تعلمت؟ أخبرنا واذكر كل التفاصيل".

"يجب أن أذهب"، قالها عبد الله الأمرد. "الآن وبعد أن رأيته وسمعت تعليماته يجب أن أذهب".

"إلى أين يا عزيزي عبد الله؟"، صرخت أمه. "تذهب؟ تذهب إلى أين؟ ماذا تعني؟ تتركنا؟ تترك هذه القرية وستة وأربعين شخصًا فيها؟ اشرح لنا يا عبد الله. ماذا قال لك الشيخ؟".

قال "اذهب سريعًا"، قالها عبد الله بحسم.

أخذ قسطًا وافرًا من النوم في بيته القديم، وأخذ معه بعض الأشياء التي قد تنفعه في رحلته وبعض الملابس، ثم وقف وسلم على والديه وسعى وراء قدره.

لم يكن عبد الله مدربًا على أي شيء حيث إنه أمضى معظم شبابه في مساعدة عائلته في زراعة قطعة الأرض التي يقتاتون عليها. في المدينة الأولى التي مر بها كان يوجد الكثير من الأعمال للشباب من ذوي السواعد العازمة على العمل وذلك في بناء قصر السلطان وزراعة حدائقه. كلما اكتسب خبرة في عمله، كان يكسب مالاً أكثر، وأصبح في وسعه السفر لمدن أكبر وأجمل، وكلما تأمل الطرق التي قد يسلكها وتكون أكثر أمانًا تذكر كلمات الشيخ فورًا، حيث إن السبيل الصحيح الذي عليه أن يسلكه: "اذهب".

عمل في بلاد عديدة، وبعد عدة سنوات بدأ أصحاب العمل ممن عمل معهم يقدرون خبرته بالعالم، ويسألونه أسئلة يجيب عنها بعد أن يستحضر وجه الشيخ قائلاً له "اذهب".

ذاعت شهرة عبد الله لحكمته وتقديمه النصيحه للناس حتى بدون أن يفكر فيها.

أخيرًا، وفي منتصف العمر وقد أعيته متاعب الحياة، كان عبد الله يعتقد أنه من الأفضل أن يعود أدراجه إلى البيت حيث لا فائدة ترجى أكثر من ذلك. لم يكن لديه زوجة ولا أسرة، وبعودته إلى القرية عرف بوفاة والديه، حتى النساء اللاتي كن فتيات صغيرات عندما كان صغيرًا أصبحن متزوجات الآن.

متسائلاً ماذا يفعل بعد ذلك، وجد عبد الله نفسه وقد غزا الشيب رأسه يصعد الجبل في طريقه إلى الشيخ "هل ما زال الكهف هناك؟ هل ما زال الشيخ على قيد الحياة؟ هل حقًا رأى الحكيم وسمع تلك الكلمات الثلاث: اذهب، اذهب، اذهب؟ أم أن كل ذلك كان محض خيال؟"

"لم يكن أمامه إلا أن يكمل الطريق ليعرف الإجابة. كان يتمنى من كل قلبه أن يصل إلى تلك البقعة المسحورة. قادته قدماه بدقة إلى المكان نفسه، حيث رأى العرش الصخري، والشيخ في ردائه المرفرف. كانت عيناه السوداوان اللامعتان ترحبان به.

وقف عبد الله في تواضع جم أمام سيده ولم ينبس ببنت شفة ورأسه مرفوع. لم تهتز نظرته. وقف الشيخ بخفة طفل صغير وأشار بيد مرحبة إلى الكهف المليء بالآلاف المؤلفة من كتب المعرفة.

"قلت لك في السابق اذهب"، قالها الشيخ برفق آخذًا عبد الله من ذراعه، "الآن أقول قولاً مختلفًا. الآن أقول، أقبل".

الشقي والسمكة المسمومة

في يوم ليس ببعيد كانت هناك قرية على حافة المحيط تعيش على الصيد. كل صباح، وجموع الصيادين تهرع إلى الشاطئ بصيدها، وكانوا يعملون بجد ويتحملون ظروف البحر القاسية في مراكبهم الضعيفة، ولكن الغنائم دائمًا وفيرة، وكانوا كلهم راضين وأصدقاء لبعضهم بعضًا، ولكن في مكان ما في القرية كان يعيش أحد الأشقياء، ضخمًا قبيحًا، له رأس كبير وعينان زائغتان، وله قدمان كبيرتان مفلطحتان، وصوت عالٍ أجش، وكان دائمًا يلوي أذرع الرجال ويجذب البنات من شعورهن ويوقع أقفاص السيدات المليئة بالسمك من المراكب، ولم يكن يمر يوم دون الإفلات من أذاه.

كل يوم، كان ذلك الشقي يتحدى رجلاً من سكان القرية في لعبة المصارعة وكان معظمهم يوافق عن طيب خاطر. لكن على حين غرة يطرح منافسه أرضًا بقوة شديدة ثم يقعد عليه حتى يستجديه طالبًا الرحمة، إلى أن اعترفوا له جميعًا بالسبق وبأنه الأقوى في الضاحية كلها، وكان يقفز ويصيح مثل الديك المخبول ضاربًا صدره بقوة مثل إنسان الغاب. كانت الهراوة سلاحه الوحشي، وكان يحب استخدامها، وبمرور الوقت أصبح من الصعب إقامة حوار عاقل معه، بل كان من المستحيل التحدث إليه. كان كل من في القرية لديهم هراوات ولكنه كان الفائز دائمًا، أيا كان منافسه.

آنذاك، في ذلك اليوم الذي أتحدث عنه، جاء شخص غريب صغير ضئيل الجسم ذو بشرة بنية اللون إلى كبير القرية. طلب الرجل المبيت لليلة وقال إنه كان تلميذا في رحلة طويلة على قدميه إلى كهوف الخفافيش العالية في الغابة القَصيّة.

كان الكل سعداء بذلك الغريب لدرجة أن كل واحد منهم أحضر طبقًا من السمك أو الأرز المفلفل لبيت كبير القرية؛ لكي يقدموا واجب الضيافة للغريب في حفل على الشاطئ .

مضى الوقت وأكل الجميع إلى أن ظهر خيال شخص ضخم قوي البنيان من بين أهل القرية الجالسين، وتحدى الزائر للنزال.

وقف الزائر ذو الأخلاق الطيبة، وحدق أهل القرية نظرهم في توجس، وقاموا بإفساح مكان للمنافسة لكي تبدأ، وكانت هراوة الشقي على أهبة الاستعداد.

قال الزائر: "أنا لا أجيد استخدام الهراوة، وغالبًا ما أستخدم السمك المبلل سلاحًا. وبما أنك أنت الذي بدأت التحدي فمن حقي أن أختار سلاحي أليس كذلك؟"

"بالتأكيد، طبعًا أستطيع استخدام السمك المبلل بسهولة مثل الهراوة". قال الشقي، "وأنا جاهز للبدء. أين السمكتان اللتان سنستخدمهما؟"

كان رجال القرية شغوفين بالمراهنة على أيهما.

أجاب الغريب: "معي هنا في جرابي، ومن الأفضل أن نبدأ الرهان بسرعة حيث إنني أشترك في مثل هذا النوع من العراك أينما ذهبت وغالبًا ما أكون أنا الفائز، عليك فقط أن تختار من بين هاتين السمكتين حيث إن إحداهما مسمومة، واستخدام تلك السمكة في العراك قد يكون قاتلاً؛ حيث إن بها سما سحريًا تحت قشرتها. إذا أحكمت قبضتك على ذيلها لتضربني بها، يمكن أن يلامس جلدك السم؛

وربما أكون من سيختار هذه السمكة فنحن لا نستطيع أن نفرق بينهما. أنا متأكد من أنك تتمتع بروح رياضية ولن يغير هذا الأمر من تفكيرك. هيا، اختر، وسنمضي في التحدي الآن ثم يتفرق الجمع كل إلى حال سبيله".

فتح الغريب جرابه، ومد كل الموجودين أعناقهم ليروا سمكتين غريبتي الشكل؛ طويلتين لهما لون أحمر مثل سمك السلطان إبراهيم، وعيون بحواف حمراء أيضا. وكان الجميع يهمسون فى ترقب وخوف. أُسكت الأطفال وتصبب العرق فوق جبهة كبير القرية. أقعى الجميع وكأن على رءوسهم الطير يترقبون المواجهة بين الشقي الضخم البنيان والزائر الضئيل الجسم ذي الأخلاق الطيبة.

"أتعني أننا سنتعارك بالسمك بدلاً من الهراوات؟"، قال الشقى صارخاً وعيناه تكادا تخرجان من محجرهما. تيقن أهل القرية من جبنه الذي بدا على وجهه.

"لماذا؟ أنا لن أشترك في مسابقة كهذه، إنها ليست على مستوايّ. يمكن أن تقوم بهذا في المدن الغبية التي أتيت منها وليس في هذه القرية، لن أخاطر بأن أتسمم في لعبة غبية كهذه".

واستدار خارجًا ليختفى في كوخه، فقد أصيب بالإحباط لأول مرة فى حياته.

بدأ الجميع يتحدثون مرة أخرى بينما عادت السمكتان للجراب وبدأ الناس يتناولون الأطباق الشهية فى وليمة الشاطئ. كان النساء يضحكن والرجال يدخنون والأطفال يلعبون.

"يوم رائع حقًا. سأكون في غاية السعاة إذا آويت للنوم"، قال الزائر الطيب لكبير القرية الذي تنفس الصعداء. "أريد أن أشكرك على الطعام اللذيذ والحديث الممتع، من فضلك اقبل هاتين السمكتين من الجزيرة المجاورة؛ قد يكون لهما مذاق

مختلف عن الأسماك هنا"، وفتح الشاب جرابه أمام يدي كبير القرية مشجعًا إياه بابتسامة عطوفة لقبولهما.

"ولكن ماذا تعني؟ لقد قلت إن إحداهما مسمومة"، قال الكبير بسرعة واضطراب بعد أن بدأ في التصبب عرقًا مرة أخرى. "كيف لك أن تفعل ذلك بعد كل ما قدمناه لك من كرم وحسن ضيافة؟"

"لا لا! أرجوك اقبل السمكة. اشوِ واحدة على الإفطار، اسلقها أو يمكنك حتى أكلها نيئة، سيكون طعمها لذيذًا على أية حال. فكلاهما سليم وليستا مسممتين، كانت تلك مزحة صغيرة، لكن الشقي في قريتكم لا يعرف ذلك ولن يقدم على إيذائكم مرة أخرى".

أميرة فانتازستان

"في كل أرجاء تركستان لم يكن هناك، صدقوني يا إخواني، سيدة أكثر جمالاً وعطفًا من أميرة فانتازستان"، هكذا بدأ التاجر القادم من بخارى حكايته. قال بائع السجاد القادم من مزار شريف: " فانتازستان؟! فانتازستان؟! هذا في لغتنا يعني بلاد الخيال أو لا مكان... اختراع".

"بالضبط"، ابتسم البخاري ذو العينين الحالمتين وهو يعدل أطراف معطفه المبطن ذي الألوان المتعددة، "سأحكي لكم كل شيء عنها إذا أردتم".

اعتدل التجار الآخرون كل في جلسته حول النار، وألقى الخدم بالمزيد من الخشب على اللهب وبدأت القصة:

في بلاد تركستان، كانت هناك أميرة غاية في الجمال والرقة. قابلها ملك تركستان في يوم من الأيام عندما خرج للصيد، بمجرد أن وقعت عيناه عليها وهي تجمع التوت، مرتدية أبسط الملابس، وقع في غرامها. كان شابًا مقداما يبحث عن عروس مناسبة، حيث لم يكن قد قابل من حركت مشاعره مثلها.

سأل عن منزل أبويها ليطلب يدها، ولكنها في كل مرة كانت تهز رأسها. كانت عيناها في براءة عيون الأطفال، وكانت تبدو وحيدة في هذا العالم. رفعها الملك لتمتطي حصانه، وأخذها للقصر الأزرق الفيروزي حيث كان يعيش مع أمه وأخواته. في حفل بهيج، مرتدية ثوب الزفاف الحريري تم زواجها من ملك تركستان.

استمرت الحياة هنيئة لمدة عام وسرعان ما اكتشف رجال البلاط أن ملكتهم مرحة وعطوف وطيبة، وبعد تسعة أشهر، رُزقا بالأمير الصغير وبعد أن بلغ ثلاثة أشهر دبت الغيرة منها في قلوب أخوات الملك الثلاث اللائى لم يكن قد تزوجن بعد.

بدأن في إثارة الشائعات حولها، في البلاط أولاً ثم بعد ذلك في كل أرجاء تركستان. وكان السؤال الذى يتردد على كل الألسنة: "من يا ترى تلك الفتاة التي تزوجت حاكمنا النبيل؟ هل تستحق ما هي فيه؟ كيف سيكون أولادها؟ كيف يكون الملك بالحماقة التي تجعله يعود إلينا بملكة بعد رحلة صيد، لا نعرف عنها شيئًا؟"

دافع من أحبوها عنها قائلين "لا بد من أنها من عائلة كريمة وكفء لأن تكون أما لأولاد حاكمنا. انظروا إليها، ألا ترون ذلك في وجهها؟".

وكان الناقمون عليها، لينالوا الحظوة عند الأميرات الشريرات يقولون: "فلنذهب إلى بلادها إذًا، خذونا إلى بلاد الخيال تلك التي أتت منها الملكة لكي نرى بأنفسنا".

كانت الملكة المسكينة تقول لنفسها "هؤلاء الناس يكرهونني حقًا، لن أكون قادرة على إرضائهم أبدًا. أخوات زوجي شريرات وقاسيات القلب".

مع مرور الأيام كانت الشائعات تزداد سوءًا، وفي النهاية فكرت: "سيكون الملك أكثر سعادة بدوني. لا بد أن أذهب إلى حيث وجدني. كنت على الأقل سعيدة آنذاك، أعيش على التوت والفاكهة وذكريات أيام جميلة مضت".

وعندما استعد الملك ورفاقه لرحلة الصيد قامت الملكة بلف الأمير الصغير في بطانية، وحملت معها بعض الأشياء وذهبت مسرعة في الاتجاه المعاكس. كان

رجال البلاط الذين كان معظمهم يكرهونها يراقبونها من بعيد، وهم يشكُّون في أن تكون شحاذة أوقعت بالملك في شباكها ليتزوجها؛ لذا أرادوا أن يعرفوا الحقيقة.

عندما وصلت إلى الغابة، وفي المكان نفسه حيث كانت تجمع التوت قبل سنة، دخلت بين الأشجار واختفت. ومما زاد من دهشتهم جميعًا وجود قصر رائع وراءها، كان في حجم قصر ملك تركستان. كانت هناك قباب من المرمر مرصعة بالجواهر اللامعة، ومداخل من العاج، وأقفاص فضية بداخلها طيور تغني وسمان يتشاجر في سلال من البوص. كان هناك غزلان في الحدائق، وورود رائعة الجمال في كل مكان. وكان يحرس البوابات جنود في دروع لامعة وخوذات من الصلب يذرعون المكان جيئة وذهابًا بأعداد كبيرة.

وقفت الملكة الصغيرة المتعبة بملابسها المتربة وأميرها الصغير على ذراعها، ومشت بصعوبة نحو البوابة ففتحت الأبواب الفضية بسرعة تحيةً لها، ورفرفت الرايات من الشرفات وظهر الناس من النوافذ مرحبين بها؛ ثم ظهرت ملكة طويلة ذات شعر أبيض وملك نبيل كبير السن من القصر قائلين:" ادخلي يا عزيزتي، ادخلي يا ابنتنا التي افتقدناها طويلاً. ما الذى حجبك عنا؟ أحضري أصدقاءك الواقفين خلفك، لا تنسِ منهم أحدًا. أحضروا الطعام والهدايا".

دخل رجال البلاط وهم مشدوهين في جمع غفير من الناس السعداء، أُجلِسوا على الأرائك ووضِع أمامهم الطعام ومن ورائهم العبيد يحركون المراوح لتهويتهم، واستمرت الاحتفالات سبعة أيام وسبع ليال.

في الليلة الثانية عاد ملك تركستان من رحلة الصيد وذهب يبحث عن زوجته. أخبره رجال القصر، الذين بقوا فيه وكانوا من مروجي الشائعات حول الملكة، بالطريقة التي اختفت بها.

عندما وصل الملك إلى القصر في الغابة قدم الملك والملكة نفسيهما على أنهما ملك وملكة فانتازستان، عانقا زوج ابنتهما في غبطة ولعبا مع الأمير الصغير، وعبّرا عن رضاهما عن حياة ابنتهما الجديدة.

عندما تيقن رجال البلاط من أن الملكة الصغيرة من سلالة ملكية نبيلة، قدموا أعذارهم وعادوا أدراجهم يجرون أذيال الخيبة والخجل. كيف كان لهم أن يشكوا في اختيار ملكهم؟

قالت الملكة الأم للشاب: "اذهب لرجال بلاطك واترك ابنتنا معنا ليلة واحدة أخرى وسنقوم بإرسالها لك مع الأمير الصغير. لا تخف".

ذهبوا جميعًا وهم يعاودون النظر على قصر مملكة فانتازستان، ونامت الملكة الصغيرة تلك الليلة في سريرها قريرة العين وابنها بجانبها.

وفي الصباح لم يكن هناك أثر لأي شيء؛ القصر، الملكة ذات الشعر الأبيض، الملك الطويل، العبيد، الجنود، الطيور، الورود .. لم يبقَ شيء، لا عصا ولا حتى حجر. وعندما وقفت البنت ونظرت حولها ظهرت لها الملكة العجوز مرة أخرى "لقد متنا أنا ووالدك وأصبحنا أشباح من سنين طويلة. قامت عائلات الحطابين ومن يعملون في الغابة بإطعامك والعناية بك حتى كان قدرك أن تقابلي ملك تركستان، ولكننا عندما رأينا المعاملة القاسية التي تلاقيها هناك جئنا مرة أخرى من العالم الآخر لمساعدتك". "لقد منحنا الله الرحيم سبعة أيام وسبع ليال نحصل فيها على كل ما يمكن أن تقدمه الحياة لنا، وهذا اقتسمه معك يا ابنتي الغالية. فليباركك الله يا ابنتي وإلى اللقاء"، واختفت مرة أخرى إلى الأبد.

ابنة المحارب والخُطَّاب الأربعة

كان يا ما كان هناك محارب شجاع ونبيل خاض معارك كثيرة مع العظيم صلاح الدين. عندما طعن في السن وأصبح غير قادر على النزال ذهب هو وزوجته إلى قريتهما ليعيشا حياة ريفية عادية. كان لديهما طفلة واحدة، ابنة جميلة اسمها زليخة. كانت جميلة مثل أي بنت في العالم، كما كانت طيبة ولطيفة ذات عينين سوداوين آسرتين وقوام نحيل، ممشوقة، وفي رشاقة الصفصاف.

عندما كانت في سن الزواج كان والداها سعيدين بعروض الزواج التي تنهال عليهما من شباب حَسِني الطلعة. في يوم من الأيام جاء أربعة إخوة ليطلبوا يدها، دُهش المحارب العجوز من منظر الإخوة الأربعة. كان كل واحد منهم متأكدًا من أنه سينال رضاها. جلسوا الأربعة في فناء منزل والدها وكانت زليخة وأمها ترقبان من شرفة عالية بعيدًا عن نظرات الرجال.

"لِمَ ينبغي أن تكون ابنتي زوجتك؟" سأل الأب الأخ الأول، الذي كان وسيمًا وأنيقًا، ويعمل نساجًا.

قال النساج: "لأنني سأقدم لها أرقى المنسوجات المطرزة المصنوعة من الحرير والصوف، لن تنقصها الملابس الرائعة، سترتدي أفضل الملابس في البلدة كلها".

"ولماذا يجب أن تكون ابنتي زوجتك؟" سأل الأب الأخ الثاني، الذي كان وسيما وأنيقًا.

"لأنني ماهر ولي معرفة كبيرة بالحيوانات والطيور، وسأعلم ابنتك لغة كل الطيور والحيوانات البرية. سآخذها للغابات وأريها أماكنها، وسألبسها أجود الفراء".

ثم قال للثالث "لِمَ يجب أن تكون ابنتي زوجتك؟"

"لأنني شاعر وكاتب وقادر على تخليد جمالها، سأقص عليها كل ليلة أجمل القصص. سأحكي لها قصصًا عجيب من كل الدنيا".

"ولِمَ تريد أن تتزوج ابنتي؟" سأل الأب الرابع.

"آه أيها المحارب النبيل! أريد أن أتزوج ابنتك لأني محارب وأنت محارب. سنرزق بالعديد من الأبناء الذين سيكونون محاربين شجعان، وسنرزق بالبنات اللاتي سيتزوجن من المحاربين. وحيث إن دمي من دمك سأبذله في سبيل وطننا واسمنا، وسأجعلك فخورًا بأحفادك أيها المحارب النبيل".

قال المحارب العجوز: "لا بد من أن تتزوج أنت من ابنتي، لقد تحدثت مثلما تحدثت أنا عندما ذهبت لأطلب يد أمها. الشبيه يدرك شبيهه، النسور مع النسور، والحمائم مع الحمائم، إن الطيور على أشكالها تقع".

في تلك اللحظة سقط وشاح ذهبي من الشرفة لينزل على كتفي المحارب الشاب الشجاع. نظر عاليًا والتقت عيناه بعيني ابنة المحارب العجوز. لا بد أنها إرادة الله. وحيث إن الشبيه يدرك الشبيه، فالمعلمون يتزوجون بنات المعلمين والمحاربون يتزوجون بنات المحاربين.

ملكة سبأ والوثني

في حضرموت التي تعني خطر الموت، كانت توجد ملكة عظيمة؛ بلقيس ملكة سبأ. وهي امرأة ذكية جدًا وكانت قد قطعت مسافة كبيرة في رحلة طويلة لتقابل سليمان ملك السحرة. بعد زيارة الملك الحكيم عادت إلى بلدها بعد أن بوركت بمعرفة كبيرة عن هذا الملك.

وفي يوم من الأيام أحضر حراسها للبلاط رجلاً إنجليزيًا وألقوا به أمامها وقالوا: "أيتها الملكة العظيمة بلقيس، لقد وجدنا هذا الوثني يجول بالقرب من القصر ولم نستطع أن نعرف منه أى شيء، فهو شاحب ونحيل ولا يستطيع أن يتحدث بلغتنا العربية الجميلة. قبل أن نقطع رأسه أو نلقي به للأسود، أردنا أن نريك ذلك المخلوق الغريب".

لأن بلقيس امـــرأة، وجدت نفسهـــا منجذبة لذلك الغـــريب الشاحـــب ذي العينين الـــزرقاوين قالت: " كفوا! لا تقضـــوا على حياته. ما الذي جنـــاه سوى أنه أتى إلى هنا؟".

"لم يقترف شرًا أيتها الملكة، ولكنه تجرأ على تدنيس شوارع سبأ بحضوره إليها".

تحدثت الملكة إلى الرجل الإنجليزي قائلة "قم، لماذا أنت هنا؟"

قال"أيتها الملكة العظيمة، سمعت عنك من أناس كثيرين جاءوا إلى أرض خطر الموت، تحدثوا عن حكمتك وجمالك، وأستطيع أن أقول من النظر إليك إنهم محقون".

أرضى ذلك غرور الملكة فقالت: "اجلس، رجالي يريدون أن يقطعوك إربًا ويلقوا بك للأسود، ولكنني أريد أن أتحدث إليك وأسألك: ماذا تفعلون أيها الوثنيون في بلدي؟ هل تريدون أن تعتنقوا ديانتنا الرائعة وتصبحون من أتباع الإسلام؟"

أجاب "لا أيتها الملكة، فأنا لي ترتيباتي الخاصة، ووصلت إلى سلامي الخاص مع الله".

"ولكن" قالت الملكة، "يجب أن تستمع إلى ما يقول رجالي الحكماء، وأن تتحدث إليهم وتتعلم منهم. إذا قمت بذلك على أكمل وجه ربما أطلقت سراحك".

"لا أيتها الملكة العظيمة، أنا أفضل الموت على أن أغير ديانتي" أجاب الوثني.

ثم رفعت الملكة صوتها عاليًا "قول بليغ، وأنا سعيدة لسماع ذلك، إن ديننا يحضنا على احترام أصحاب الكتب الأخرى. هل لديكم كتاب؟"

"نعم أيتها الملكة العظيمة، لدينا كتاب".

"حسنًا" قالت الملكة "ستأتي معي لنذهب للصيد اليوم ونمشي سويًا في الحديقة ليلاً. ستأكل معي، وسنلقي عليك بالأسئلة، ستستمع إلى الحكمة التي تعلمتها من الملك سليمان العظيم".

مرت الأيام والليالي على بلقيس ملكة سبأ في هدوء وصفو، كانت مستمتعة فيها بصحبة الرجل الإنجليزي الذي بدوره استمتع بصحبتها، إلا أن نظرة رجال

البلاط إليه لم ترق له وشعر بعداوتهم. أحس بغيرتهم منه وأحس أنه يجب عليه أن يخرج من أرض حضرموت التي تعني خطر الموت.

. أقامت الملكة وليمة كبيرة في ليلة من الليالي، وكان هناك الكثير من الناس الذين جاءوا لمشاهدة الإنجليزي وكيف يتحدث إلى الملكة. عندها تملك شيطان الغيرة من قلب رئيس وزراء الملكة، انحنى وهمس بشيء ما للإنجليزي، لم يفهم الإنجليزي وقال "ماذا؟ هل لك أن تعيد ذلك ثانية؟ ماذا تعني؟ أنا لم أفهم".

حينها تملك الغضب من رئيس الوزراء وقال "ألم تفهم؟ ألم تفهم؟ لقد قلت لك شيئًا في غاية الأهمية وأنت لم تفهم. أيتها الملكة العظيمة اسمعي هذا الأحمق، يجب أن يذهب من فوره إلى الزنزانة. فقد تحدث عنك بشكل سيئ".

عندها فقدت الملكة أعصابها وقالت "خذوه للقبو".

"لا،لا" صاح الإنجليزي "هذا خطأ، لم يفهمني رئيس الوزراء".

"حسنًا إذًا، سأعطيك فرصة أخرى" قالت الملكة.

فكرت الملكة قليلاً ثم قالت "لو أنك تعلمت كل شيء في بلدك وتعرف كل شيء، فأريد منك أن تجيب عن هذا اللغز غدًا. يجب أن تبقى في القبو حتى مثل هذا الموعد غدًا، وتعود بالإجابة".

"حسنًا، ما السؤال؟" سأل الإنجليزي .

قالت الملكة: "السؤال: أين مركز العالم؟ سأقوله بطريقة أخرى، ما أهم مكان في هذا الكون؟ والآن خذوه بعيدًا"، قالت ملوحة بيدها لجنودها الذين قفزوا وجرّوا الإنجليزي المسكين بعيدًا.

أخذوه إلى زنزانة في أكثر بقع القصر ظلامًا وحبسوه فيها، لم يكن هناك ضوء. تمدد الرجل على الأرض وعقله ممعن في التفكير. ما هذا الذي يلقاه في تلك البلد المجنونة؛ سبأ؟ لمَ لا يغادر صحراء حضرموت حيث إنه على قناعة الآن بأن رأسه سوف تقطع؟ سيلقى ربه في هذا الموعد نفسه غدًا. قالها وهو يضرب بيده بقوة على حجر حفرت عليه أسماء أناس حُجزوا في هذه الزنزانة نفسها قبله.

فجأة انقشع الظلام في الزنزانة وانبعث ضوء من الحجر الذي ضربه بقبضته، ثم خرج صوت منه يقول "أيها الإنسان، أنا حجر سحري، اسألني أي سؤال تريد وسأجيبك عنه. أنا جني الحجر ولا بد من أن أجيب عن سؤالك".

"إذًا إكرامًا لله أيها الحجر السحري هل لك أن تخبرني بإجابة هذا السؤال: ما مركز العالم؟ ما منتصف الكون؟ ما إجابة سؤال الملكة؛ ملكة سبأ؟"

وضع أذنه على الحجر الذى همس له، ثم قال الصوت "هل سمعتني أيها الوثني؟"

"نعم سمعت" أجاب الإنجليزي

"إذًا قلها للملكة، وعليك السلام"

"وعليك السلام أنتِ أيضًا"، قال الإنجليزي السيئ الحظ.

انطفأ النور وطمس الظلام كل شيء ولم يعد الرجل يسمع أو يرى شيئًا، لقد ارتاح بعد ما حدث ونام على أرض الزنزانة.

أيقظوه في الفجر وأخرجوه، وقدموا له الطعام وألبسوه الملابس النظيفة، واقتادوه حتى وصلوا به أخيرًا إلى عرش الملكة.

قالت الملكة "ما جواب سؤالي؟ ما مركز الكون؟ ما أهم مكان في العالم كله؟"

أمعن كل رجال البلاط نظرهم وأطرقوا السمع وعيونهم تشع بالغيرة وأصابعهم أشبه بالمخالب، وكانوا ينتظرون بشغف نهاية ذلك الوثني المريع الذي أكلتهم الغيرة منه.

اعتدل الإنجليزي في وقفته وضبط عباءته وقدم قدمًا للأمام وثنى ركبته ومال للأمام، ومسح على لحيته وقال "أيتها العظيمة بلقيس إنه هنا تحت قدميك. أهم مكان في العالم مكانك الذي أنت فيه يا ملكة حضرموت العظيمة".

ضحكت الملكة وبرقت عيناها. وبُهت مستشاروها ووزراؤها عندما مدت يدها للوثني. "أحسنت، الآن سأطلق سراحك، بل وسأعطيك أفضل جمل لديَّ. سيأخذك إلى ما وراء حضرموت وخطر الموت، ويمكنك أن ترجع إلى بلدك الوثني، هناك تستطيع أن تخبرهم عن حكمة وقوة ملكة سبأ، وكيف أنها أعادت وثنيًا إلى بلده الوثني".

بذلك أنقذ الحجر السحري الإنجليزي من قدر محتوم، واستطاع الوثني أن يعود إلى بلده ليروي قصته.

خدعة الخليفة

ذات مساء كان خليفة بغداد الخليفة هارون الرشيد يجول في شوارع المدينة متخفيًا كالعادة، عندما رأى رجــلاً في ثياب رثــة نائمًا متكورًا ومستندًا على فرن خارجي.

"جعفر" قال الخليفة لرئيس وزرائه الذي اعتاد اصطحابه في تلك الجولات، "من العار أن ينام هذا الرجل في الشارع بلا سرير، فتش جيوبه .. معه نقود؟"

فتش الوزير جيوب الرجل ولم يجد شيئًا ولا حتى عملة نحاسية، "لا يملك شيئًا يا مولاى. يبدو أنه فقير، ولكن ثمة شيئًا، فوجهه يدل على هدوء ودعة. قد أتجرأ وأقول إنه إذا أُلبس ثيابًا جيدة قد يبدو أحد أقاربك. إنه شبه عجيب، سامحني لقولي هذا".

أمعن هارون الرشيد النظر ووافقه الرأي، "نعم، عجيب! له ملامح أهلي؛ الأنف والحاجبان نفسها".

بدا عليه التفكير، فقال الوزير جعفر "دعنا نضع نقودًا في جيبه حتى يستيقظ على وضع أفضل".

قال الخليفة: "لديَّ فكرة أفضل، فلنأخذه للقصر. يبدو مستغرقًا في النوم كأنه لن يستيقظ أبدًا. لنأخذه لحجرتي ونتركه بها الليلة، وغدًا نقدم له ملابس جديدة ونرى إن كان يحتاج عملاً".

حمل الوزير والخليفة الرجل برفق وهو يشخر وأخذوه من طريق سري إلى حجرة الخليفة، ونزعوا عنه عباءته وغطوه بغطاء السرير الحريري، وحين فرغوا من ذلك سمعوا طرقًا على الباب.

"هل الخليفة مستيقظ؟ هناك أخبار مهمة من أرض المعركة".

كان المتكلم قائد قوات الخليفة: "رجالنا يتقهقرون وفي طريقهم للهزيمة"، وأكمل "إذا استطاعوا أن يروك لتقوي من عزيمتهم فربما أمكن هزيمة الكفار".

تحدث هارون الرشيد سريعًا "انتظر نصف ساعة وسأكون معك على أتم الاستعداد للذهاب للمعركة".

أدى القائد التحية وذهب.

قال الخليفة لجعفر: "يجب ألا يعرف أحد بغيابي، أبقهِ سرًا. ينبغي أن أكون بجانب رجالي تحت رايتنا، لو علم الأعداء بتحركاتي فربما قتلوني قبل أن أصل إلى معسكرنا".

"ولكن ماذا أفعل يا مولاي بذلك الذي في سريرك، الذي يبدو أنه سينام إلى يوم البعث؟"

"أبقِ عليه هنا. ألبسه ملابسي وأخبره بما تريد حتى عودتي".

امتشـــق الخليفة سيفـــه وارتـــدى حلته العسكـــرية واختفى من باب سري في الحائط.

"اللهم كلل جهود الخليفة بالنصر"، تمتم المخلص جعفر الذي كان يهرش رأسه وهو ينظر إلى سرير الشحاذ.

عندما استيقظ عبد الله في الصباح الباكر لم يصدق ما رأى بأم عينيه. وجد نفسه في حجرة فخمة، في سرير لم يرَ له مثيلاً طوال عمره وعليه غطاء حريري. كانت رأسه توجعه وكان مرتبكًا ومشوشًا. اعتدل في جلسته محاولاً أن يفهم.

سعل جعفر فى حذر "إحم! ما أوامرك أيها الخليفة العظيم هارون الرشيد؟"

"لم تكن صحتك جيدة مؤخرًا وأوصى الأطباء بأن تستريح، ولكن إذا كنت تشعر بتحسن فلعلك تفضل أن تستحم".

"خليفة؟ خليفة؟ لست بخليفة، أنا رجل فقير أعياني البحث عن عمل ولأنني لم أجد عملاً طوال الأسبوع غلبني النوم في الطريق ليلة أمس، أو على الأقل أعتقد أنها كانت ليلة أمس، زوجتي وأطفالي ينتظرونني في البيت، يجب أن أذهب".

"لا، لا، لا لقد كنت مريضًا ليس بوسعك أن تفعل شيئًا تجاه تلك التخيلات يا مولاي"، قال جعفر بهدوء وكان يتحدث مع عبد الله الذى بدأ يشعر بأنه لا بد من أن يكون هو الخليفة، وأمرهم أن يعدوا له الحمام، وقُدمت له الملابس، وقُدم له الطعام اللذيذ بعد أن أعياه الجوع وأضنته الأفكار المشوشة.

"لو كان كل هذا خيالاً وقد أصبت بالجنون، فما أجمل هذا الجنون! من أنا حتى تقلقني متع الحياة هذه؟" قال عبد الله لنفسه وهو يفكر فيما هو فيه، ثم عقد العزم على أن يميل مع الريح.

بعد أيام قليلة، بدأ يشعر بأنه حقًا الحاكم الذي كان مريضًا، وأن الفقر حلم. عندما أرسل الناس تظلماتهم له كان يقرؤها بتعاطف. كتبت له امرأة فقيرة تقول إن زوجها كان قد خرج للبحث عن عمل ولم يعد، وتخشى أن يكون قد مات جوعًا في شوارع بغداد، وفي الحال أرسل الشحاذ إليها كيسًا من الذهب مع رسول؛ حيث إن

كلماتها مست شغاف قلبه. "ها أنا ذا في هذا القصر المنيف بينما تلك المرأة لا تملك شيئًا. الملكة في هذا البلاط الرائع تقول إنها زوجتي، ولكنها ترغب في منحي فرصة للشفاء قبل أن تأتي لزيارتي. كل ما عليّ أن أستقبل تظلمات الناس وأحاول أن أساعد أكبر عدد ممكن منهم. أستطيع أن أتفهم كيف يشعرون إلى حد ما، لا بد إذن من أن أكون الخليفة".

فرحت زوجة عبد الله بالذهب وحمدت الله على رحمته، ولكنها ظلت تلوم عبد الله لتركها وأولادها هكذا. "تتركنا وقت حاجتنا" كانت تتمتم، "لا يهم إن لم يعد نهائيًا، ما كان باستطاعته أن يوفر لنا كل هذا المال لو أنه عمل طول حياته". واشترت ملابس جديدة لها ولأسرتها.

في تلك الأثناء كان الخليفة الحقيقي قد قاد جيشه للنصر وعاد إلى بغداد حيث كان كل شيء هادئًا والأمن مستتبًا. دخل غرفته من الباب السري حيث ينام الخليفة المزيف، ذهب هارون الرشيد في هدوء إلى غرفة جعفر وأيقظه من نومه.

"كان النصر حليفنا يا جعفر. كل ما أريده الآن هو أن أنام حتى أستجمع قواي مرة أخرى"، قال الخليفة.

"نشكر الله يا مولاي على عودتك غانمًا منتصرًا"، أجاب الوزير.

"ولكن ماذا نحن فاعلون بالرجل الذي يظن الناس أنه الخليفة؟ هو نفسه الآن يعتقد أنه الخليفة".

"يجب أن يعود إلى حيث وجدناه"، أجاب الحاكم المنهك. "ضع ملابسه الرثة عليه واجعل اثنين من الرجال يحملانه إلى المكان نفسه ويضعان كيسًا من الذهب حول وسطه. إنه نائم بعمق ولن يوقظه شيء".

فعل الوزير مثلما أمر الخليفة، وفي الفجر استيقظ عبد الله ليجد نفسه بجانب الفرن في متجر الخباز، بدلاً من السرير الوثير، وكانت أرض الشارع تحته.

"أعرف والله أنه كان حلمًا"، قال الرجل لنفسه. "ها أنا ذا في الشارع بعباءتي الرثة، ولكن ما هذا الحزام؟ ذهب؟ ترى ماذا ستفعل زوجتي عندما تعرف كل شيء".

دهشت الخادمة عندما فتحت الباب وصرخت "معجزة، معجزة!".

"سيدي هل أنت بخير؟ ظنت سيدتي أنك مت من أسبوع".

ذهب عبد الله إلى زوجته وأعطاها الذهب. بكت الزوجة وقالت: "الحمد لله، ظننت أنك تركتنا وكتبت تظلمًا للخليفة، ولكن ماذ فعلت؟ أين كنت؟ من أين لك بهذا المال؟"

هز رأسه ورمش بعينيه محاولاً أن يتذكر: "لست متأكدًا مما حدث لي يا عزيزتي، أظن أن جنيًا حملني. أتمنى أن يكون هذا المال حقيقيًا فأنا لا أستطيع أن أتحمل أن يكون مزيفًا، إن كان لي أن أفيق من هذا الحلم".

وبالطبع .. لم يفق من ذلك الحلم قط .

حكايات من تركيا

رحلة الأمير عطية الله إلى نهاية العالم

كان يا ما كان هناك ملك لديه ولد اسمه عطية الله. ذات يوم دعا الملك كل رجاله الحكماء وقال لهم " كيف لي أن أختبر شجاعة ابني واستحقاقه لخلافة الملك من بعدي؟"

قال أحد المستشارين له "أرسله بعيدًا ليبحث عن الحديقة السحرية التي ينمو فيها تفاح الحياة، ويعود بواحدة منها لجلالتك".

وقال آخر "أرسله ليبحث عن خاتم السعادة الحقة".

وقال ثالث "يجب أن يحضر الأمير مرآة الحقيقة من قصر الملك مندوزا، الذي يعيش في مملكة في آخر العالم".

صرف الملك رجال بلاطه وأرسل في طلب ابنه، عندما مثل عطية الله أمامه قال "اختبارًا لك يا بني أريدك أن تذهب وتعود بتفاحة من حديقة الحياة، وخاتم السعادة الحقة، ومرآة الحقيقة من المملكة في آخر العالم".

وافق الأمير عطية الله على الذهاب للعثور على تلك الأشياء الرائعة، وأقام الملك حفلاً كبيرًا على شرف وداعه.

قضى الأمير ليلة مؤرقة، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، لا يعرف ما الذي سيفعله في تلك الرحلة الغريبة، وفجأة لاح له ضوء في ركن من أركان غرفته، وفي منتصف ذلك الضوء كانت تقف جنية.

قال المخلوق المبهر: "لا تخف مني، أنا ملاكك الحارس، أنا هنا لمساعدتك. لقد أوكل إليك والدك ثلاث مهام".

اعتدل عطية الله في جلسته وأمعن النظر، معقود اللسان من فرط الدهشة.

وأكملت الجنية: "تلك المهام ليست بالصعوبة التي تتخيلها، نم قرير العين هذه الليلة وفي الغد عندما تنطلق سأكون معك لأحرسك".

ابتسمت الجنية ووضعت في يده تعويذة سحرية في سلسلة من الفضة، "ضع هذه حول عنقك، وعندما تحتاجني حك هذه التعويذة ثلاث مرات"، وقبل أن يشكرها الأمير كانت قد اختفت.

في اليوم التالي، خرج الأمير من فناء القلعة تغمره الحماسة؛ لأنه لم يكن قد غادر مملكة أبيه من قبل، وكان العالم كله في انتظاره.

ذهب في طريقه وكان يستعين بالجنية كلما أراد أن يعرف أي طريق يسلك، واستمر كذلك ثلاثة أيام ينام بجانب حصانه عندما يحل الظلام. وأخيرًا وصل إلى بلدة عجيبة حيث رأى حديقة كبيرة ذات أسوار عالية في أحد الوديان، واصل السير حتى وصل إلى بوابة ضخمة من الحديد المطاوع في سور الحديقة، وفتحت البوابة بمجرد أن لمسها. ربط الأمير لجام حصانه بالبوابة وراح يجول بين أشجار التفاح التي كانت مليئة بالثمار على كل فرع. وبينما كان ينظر حوله، جاءه صوت ملاكه الحارس:

"خذ واحدة من التفاح يا عطية الله، هذه هي الحديقة السحرية التي ينمو فيها تفاح الحياة". رفع يده وقطف تفاحة ذات أوداج حمراء لامعة، وفي الحال ظهرت آلاف من المخلوقات الطائرة الصغيرة التي تصدر طنينًا حوله وبدأت في لسع يديه ووجهه ورقبته. حك الأمير التعويذة وصاح طالبًا النجدة "النجدة! النجدة!"، وفي التو اختفت المخلوقات الصغيرة وتوقفت عن لدغه.

امتطى عطية الله جواده بسرعة وانطلق مسرعًا خارجًا من الحديقة، وبعد أن أصبح بعيدًا عنها أطلق زفرة ارتياح. لقد اجتاز الاختبار الأول؛ أصبحت تفاحة الحياة في حوزته.

هو الآن يسير ويرى منظرًا طبيعيًا جميلاً؛ الورود المتفتحة في كل مكان، وجدول من اللجين يتهادى بين ضفاف يغطيها العشب الأخضر. ترجل ليشرب من ذلك الجدول وأطفأ الحصان ظمأه كذلك، وعندما بدأ الحصان يأكل العشب الطري شعر الأمير بالجوع.

في تلك الأثناء جاءت ثلاث فتيات قرويات يحملن سلالاً من الملابس المغسولة، سرعان ما شرعن في نشرها على الشجيرات الصغيرة لتجف.

عندما رأين الأمير، قدمت له كل منهن التحية الواجبة.

"هل لكن أن تخبرنني عن نزل أقضي فيه الليلة؟" سأل الأمير، "لأنني وحصاني في غاية التعب".

أخذته الفتاة الصغرى أعلى الهضبة ودلته على بيت ريفي يمكن أن يقضي به بعض الوقت. في تلك الليلة وأثناء جلوس المزارع وزوجته والأمير حول مائدة المطبخ يتناولون الطعام، سمعوا طرقًا على الباب.

قال المزارع: "من عساه يكون الزائر في هذه الساعة من الليل؟"، وهو في طريقه لكي يفتح الباب رأى كهلاً فقيرًا ملابسه يبللها المطر واقفًا بالباب، "ادخل يا أبي، ادخل بسرعة. جفف نفسك حول النار"، قال المزارع، وقدمت زوجته طبقًا من الحساء للرجل، ثم لفوه ببطانية وأرقدوه بجانب النار عندما خلد الجميع للنوم.

كان لغرفة الأمير باب يؤدي إلى المطبخ، وفي منتصف الليل أفاق من نومه على صوت شخص يئن ويتأوه، وعندما ذهب إلى المطبخ وجد الرجل العجوز يبدو عليه المرض، وسمع الأمير صوت الملاك الحارس يقول له "تفاحة الحياة".

فتش الأمير جيبه وأخرج التفاحة الغالية وأعطى الرجل العجوز قضمة ثم أخرى حتى أكل التفاحة عن آخرها. توقف الشحاذ المسن عن الأنين واعتراه تغير معجز؛ لمعت عيناه واسود شعره وقويت أطرافه، ووقف وهو يبدو كأنه قد صغر خمسين عامًا في عشر دقائق.

"شكرًا لك يا أيها الأمير" قال الرجل، "وفي مقابل هذا الكرم سأعطيك شيئًا، ها هو؛ خاتم السعادة الحقة الذي أعرف أنك تبحث عنه".

نظر الأمير في يديه ورأى الخاتم مرصعًا بحجر من الأوبال البراق.

"ولكن كيف عرفتني؟ هل أنت ساحر؟" قال الأمير.

أجاب الرجل "لا، لقد أرسلتني إليك الجنية لأعطيك الخاتم الذي كان لدي من سنين عديدة، والآن لأنك أعطيتني تفاحة الحياة أستطيع أن أكمل مسعاي السري لخمسين عامًا أخرى".

في اليوم التالي استيقظ الأمير، وكان المسافر قد ذهب. حاول المزارع وزوجته إقناع الأمير بالبقاء مدة أطول، لكنه كان في اشتياق ليستأنف رحلته إلى آخر العالم، فأعطاهم قطعة ذهبية وشكرهم وانطلق.

امتطى الأمير جواده إلى أن وصل إلى بقعة معزولة تحيط بها الجبال من كل جانب. وصل إلى كهف، ومع حلول الظلام ظهرت له الجنية مرة أخرى.

"لست بعيدًا عن آخر العالم" قالت الجنية، "غدًا سوف تصل إلى قصر الملك مندوزا. سأساعدك لكي تحصل منه على مرآة الحقيقة، وبعدها تكون على استعداد للعودة لبلدك يا عطية الله"، ثم اختفت.

استيقظ الأمير في اليوم التالي وكانت الشمس ساطعة في الأفق، حمله الحصان عبر ممر ضيق تجمعت الصخور الضخمة على جانبيه، ومن بعيد لاحت له قلعة عملاقة قابعة على قمة الجبل في آخر العالم.

كان هناك مئات من الأبراج على كل منها نجمة ذهبية، وكان الطريق للقلعة صعبًا، ولكن البوابة الذهبية للقلعة كانت واضحة أمامه.

عندما طرق الأمير على الباب مستخدمًا المطرقة الكبيرة التي على شكل رأس أسد، أجابه قائد الحرس قائلاً "ماذا تريد؟"

أجاب الأمير بجرأة "جئت لأرى الملك مندوزا".

جاء الوزير ليصحبه إلى الملك، حيث إن الملك قد رأى وصول عطية الله في مرآة الحقيقة السحرية قبل دقائق. كان الملك مندوزا جالسًا على عرشه المصنوع من العاج المنقوش. ولم يبدُ سعيدًا، قال للأمير:

"أعيش في هذه القلعة الذهبية، ولدي بيت كنوز مليء بالجواهر، لدي إسطبلات مليئة بأغلى أنواع الخيل. أملك أراض وممتلكات هي الأثمن على ظهر الأرض، ومع ذلك لا أجد راحة البال فما معنى ذلك؟"

"مولاي" قال الأمير وهو يخلع خاتم السعادة من إصبعه: "جرب هذا وسيمنحك ما ليس لديك".

بمجرد أن لمس الخاتم إصبع الملك مندوزا، سرت السعادة في كل شرايين جسمه. قفز الملك من عرشه، وصاح فرحًا "لك أي شيء، لك ما تريد من مملكتي لأنني الآن أسعد رجل في العالم".

قال الأميـــر:" هل لي بمـــرآة الحقيقـــة؟" أجاب الملك على الفـــور "بالطبع! ومن كل قلبي".

بقى الأمير في المملكة في آخر العالم، وأقيمت الاحتفالات على شرفه سبعة أيام وسبع ليال. وعندما انطلق عائدًا إلى بلده كانت مرآة الحقيقة في جرابه. سافر أيامًا طوالاً في رحلة العودة حتى أصبح على مقربة من بلدته.

قبل أميال قصيرة من قصره رأى تنينًا ضخمًا في طريقه وبين فكيه فتاة. حك تعويذته ثلاث مرات وأخرج سيفه من غمده، وترجل من فوق حصانه وهجم على التنين بكل ما أوتي من قوة، وبضربة واحدة قاطعة وقوية قطع رأس التنين فسقط صريعًا. أخبرته البنت التي أنقذها بأنها ابنة رجل يشتغل بحرق الفحم، وشكرته من أعماق قلبها.

"تعالي" قال الأمير، "اركبي أمامي على ظهر حصاني وسآخذك معي للبيت". عندما نظر إليها أحس بجمالها فطلب منها أن تتزوجه.

كانت ابتسامتها السعيدة إجابة. سارا سويًا في عظمة حتى وصلوا القصر، أغلقت كل المنازل والمتاجر أبوابها ولم يكن هناك أحد في استقباله، وكانت بوابات القصر مغلقة، وعلى الرغم من طرق الأمير عليها بكل قوته بقيت موصدة.

أخرج مرآته من حقيبة سرجه ونظر فيها، رأى أن الجميع كانوا في خوف من الوحش الذي قتله لتوه. أشاح بسيفه وصاح "اخرجوا، اخرجوا جميعًا. اخرجوا من منازلكم، افتحوا بيوتكم ومتاجركم، لقد مات التنين. لقد قتلته".

في الحال هُرع الجميع من منازلهم ومتاجرهم ليقدموا التحية للأمير على عودته، وحملوه على أكتافهم حتى وصلوا به إلى القصر.

اختفت الفتاة بين الجموع، ولكن سرعان ما وجدها الأمير وقدمها لوالده.

فرح الملك لرؤية ابنه، وحيّاه على عروسه الجميلة ثم سأله:

"ماذا عن تفاحة الحياة وخاتم السعادة الحقة ومرآة الحقيقة، التي بعثتك من أجلها إلى نهاية العالم؟"

"قص عطية الله القصة كلها على والده من البداية للنهاية، لم ينقص أي تفصيلة وأعطاه مرآة الحقيقة.

قال الملك "لقد جئتني يا ابني الحبيب بأفضل ما يمكن أن يملكه إنسان حتى وإن كان ملكًا، حيث لا معنى للسعادة أو الحياة بدون الحقيقة".

الملك والكلب والوعاء الذهبي

كان هناك تاجر اسمه حسن، غنيًا وكريمًا، سعيدًا ومحظوظًا. وذات يوم ألمت به مصيبة عندما استولى القراصنة على سفنه المحملة بكنوز كثيرة، وقد جاء بها من بلاد بعيدة، ثم احترقت مخازنه التي كانت مليئة ببضائع قيمة.

اضطر حسن إلى بيع منزله وكل ما تبقى له من ممتلكات لعدم مقدرته على مواجهة أصدقائه، وانطلق يبحث عن حظه.

ولكن حظه السعيد خانه تمامًا فسرق لص ماله وهو نائم في نُزُل، ليجد نفسه فى بلد غريب لا يملك من متاع الدنيا شيئًا. ذهب إلى أحد المساجد وسأل خادمه أن يعطيه من الصدقات، وهو يعتريه شعور بالخجل من نفسه.

كان يتساءل كيف له أن يرفع رأسه مرة أخرى، وسأل خادم المسجد النصيحة ماذا يفعل؟

قال الرجل العجوز "على مسيرة ثلاثة أيام من هنا ستصل إلى مكان يوجد به ملك خيّر تستطيع أن تعرض عليه حالك. اطلب منه المساعدة فهو يستطيع أن يقدم لك ما هو أكثر مما قدمته لك من مواردنا المحدودة هنا". وأعطى حسنًا حفنة من العملات.

شكره حسن وانطلق في طريقه بعد أن اشترى بعض التمر ليأكله أثناء الرحلة. كان الطريق وعرًا وشاقًا، شعر خلاله حسن بالتعب والعطش وتمزقت

ثيابه حتى وصل إلى المدنية المسورة. لفت نظره أن أصحاب المحال كانوا يرتدون الملابس الثمينة ويبدون راضين بحياتهم.

سار بحذر ناحية القصر الذي أخبره خادم المسجد أن الملك يطعم به المئات من الناس كل ليلة، ولكنه شعر بالخجل من شكله ومن ملابسه الرثة عندما وصل إلى هناك، حتى أنه اختبأ وراء عمود لكي يتمكن من متابعة المشهد. كان هناك جمع غفير من الناس، صغار وكبار يُقدم لهم الطعام والمال من ملك كريم يجلس على عرش عظيم في منتصف قاعة هائلة. ورآهم من مكانه المختبئ فيه خلف العمود، يقتادون ثلاثة كلاب ضخمة من كلاب الصيد نحو مكان قريب منه، وأحد الخدم يضع ثلاثة أوعية مليئة بأجود أنواع اللحوم أمام الكلاب الثلاثة، ثم ذهب الرجل بعيدًا وتعلقت عينا حسن باللحم الذي وُضع أمام الحيوانات الثلاثة. كان يتضور جوعًا لدرجة أنه كان يمكن أن يأكل ما تبقى من الكلاب. في تلك اللحظة رفع الكلب القريب منه عينيه ونظر إليه وأزاح الوعاء ناحية حسن، الذي كان يعاني من الجوع الشديد. لم يستطع الانتظار لحظة أخرى وأخذ قطعة من اللحم، ثم أزاح الوعاء مرة أخرى ناحية الكلب، الذي أزاحه مرة أخرى ناحية حسن فأكل حتى شبع.

ثم أكل الكلب بعد ذلك، وبعد أن لحس الوعاء وجعله نظيفًا أزاحه مرة أخرى ناحية حسن. رأى الرجل أن الكلب يقدم له الوعاء فأخذه وأخفاه تحت العباءة الرثة، فأومأ الكلب برأسه موافقًا على ما فعله حسن. فكر حسن في أنه يمكن أن يبيع الوعاء ويشتري ملابس جديدة ويحسن من وضعه. ربت على رأس الكلب شاكرًا وانسل خارجًا من بين جموع الناس.

باع حسن الوعاء لصائغ بسعر جيد، وتمكن بذلك المال من أن يبدأ عمله الخاص على نطاق صغير، بدلا من أن يسعى فى طلب العمل لدى غيره.

ولأنه كان يجيد البيع والشراء، تمكن من الحصول على بضاعة كثيرة ليأخذها لبلده إسطانبول، حيث استقبله أصدقاؤه بفرحة غامرة، بعد أن هنأوه على عـودة الحظ السعيد، حيث أصبح تاجـرًا ناجحًا وتمكـن مـن أن يكـون ثريًا كما كان في الماضي.

ولكن ضميره كان يؤنبه بشأن الوعاء الذهبي، حتى شعر بوجوب إعادته للبلد التي وجد فيها الكلب. كان يجب عليه أن يقدم بديلاً عن الوعاء الذهبي الذي سرقه، وإلا لن يهنأ براحة البال أبدًا. وفي غضون بضعة أيام تمكن من صنع نسخة أخرى مطابقة للوعاء، وأخذ أفضل جياده ولبس عباءته وحذاء من أجود الجلود وانطلق في رحلته. لاحت المدينة على البعد أخيرًا، ومرة أخرى رأى السور المقام حولها، وعندما مر من البوابة رأى أن وهج القصر وروعته كانا قد انطفآ، لم يجد سوى حطام بدون سقف، كانت أعمدته الجميلة قد حُطِمت وكأن جحافل المغول قد دهستها. كانت البيوت المهدمة صامتة وموحشة والمحال قد نهبت ولا يوجد أي أثر للحياة.

امتطى حسن حصانه وقلبه يعتصره الألم عندما داهمه كلب من بين حطام القصر وخلفه اثنان آخران. تذكر حسن الكلاب الثلاثة التي كان قد رآها عندما جاء هنا شحاذًا، ثم ظهر أمامه رجل عجوز يرتدي ثيابًا صوفية خشنة ويتوكأ على عصا.

"تحياتي يا بني، ما الذي أتى بك إلى هذا المكان؟"، قال الرجل العجوز.

قال حسن "جئت إلى هذا المكان في ثياب رثة، وكنت محظوظًا بأن قُدِم لي الطعام من وعاء هذا الكلب، وعندما ذهبت أخذت الوعاء معي لأنني كنت في حاجة ماسة إليه. بعته وتحسنت أحوالي، والآن جئت لأرد الدين وأعيد الوعاء لمالكه".

"لقد ولى هذا الزمان يا بني" قال الرجل العجوز، " كل تلك العظمة والأبهة التي كانت في بلاطي ولّت".

حينها تحقق حسن من أن ذلك الرجل هو الملك الكريم بلحمه ودمه، الملك الذي رآه يطعم الفقراء والمحتاجين في هذا القصر قبل زمن بعيد.

"مولاي! من فضلك خذ هذا الوعاء الذهبي الذي أحضرته معي"، قال حسن.

أجاب الملك العجوز "لا، لا حاجة لي به. إنني أعيش على أطلال الماضي هنا، وأكل مما يصطاده كلابي. بقي معي البستاني نزرع بعض الخضروات والورود، ونعيش أنا وهو والكلاب حياة هادئة هانئة، بعد أن تمكن أعدائي من تدمير كل شيء وسبي شعبي بعيدًا، أعيش حياة بسيطة هنا".

"والوعاء؟... ألن أتركه لك يا مولاي؟"، سأل حسن.

قال الملك "لو أن أحدًا من كلابي رأى أن يعطيك هذا الوعاء فليس لي أن أتوقع أن ترده لي، أنا متأكد أنه ليس في حاجة إليه الآن. نحن نعيش من فضل الله وأستطيع أن أقول إن الأمور ستسير على ما يرام لآخر حياتنا".

حيّا حسن الملك وامتطى حصانه وذهب بعيدًا. نظر وراءه ليرى الرجل العجوز يستند على عصاه ويلوح له بيده قبل أن يختفي وسط الحطام مع كلابه.

مع مرور الأيام كبر حسن واشتعل رأسه شيبًا في إسطانبول، وما زال يحكي حكاية الملك والكلب والوعاء الذهبي حتى لا ينساها الناس.

السيدة التي خرجت من خزانة الملابس

في سالف العصر والأوان كان يعيش في تركيا تاجر غني له ولد اسمه مصطفى، وكان كل ما يتمناه الابن الشاب يجده بين يديه. في أحد الأيام قال لوالده:

"لقد كبرت الآن يا والدي، ولا أريد أن أعيش معك ومع أمي وإخوتي وأخواتي في المنزل. أريد أن يكون لي منزل جميل بحديقة جميلة، أزينه بكل الكنوز التي أستطيع أن أحصل عليها، ووقتها سأكون في قمة السعادة".

كان، كما ترى، شابًا مدللاً، ومن فوره جهز التاجر منزلاً جميلاً لمصطفى وزينه بكل مكملات الرفاهية، وانتقل الابن ليعيش فيه، وكانت أمه ترسل إليه أطيب أنواع الأطعمة التي تعدها له بيديها.

في يوم من الأيام وجد مصطفى عشا صغيرا في إحدى الشجيرات، في الحديقة، فأخذ منه بيضة زرقاء صغيرة، ووضعها في خزانة ملابسه ونساها بعد ذلك تمامًا. كانت بيضة مسحورة وضعتها جنية في العُش، وذات ليلة بينما كان ابن التاجر يغط في سبات عميق، فقست البيضة وخرجت منها امرأة جميلة.

بعد ذلك اعتادت المرأة الجميلة على أن تخرج من الخزانة كل يوم لتأكل ما يتبقى من الأطباق التي ترسلها أم مصطفى، قبل أن يأتي الخدم ليأخذوها إلى المطبخ.

ذات يوم عاد مصطفى لغرفته بعد أن فرغ من وجبة منتصف اليوم، ورأى المرأة الجميلة تأكل من أحد أطباقه.

سألها مصطفى: "من أنت؟ وكيف دخلت إلى بيتي؟"

"أنا لا أعــرف من أنا" قالــت المــرأة، "جئت مــن هــذه الخزانة ولا أعرف لي بيتًا آخر".

"من الآن فصاعدًا لن تعيشي في الخزانة يا عزيزتي" قال مصطفى، "ستكونين ضيفتي، وستكون لك أكبر وأجمل غرفة في هذا البيت".

"شكرا لك" أجابت المرأة، "فالخزانة ضيقة إلى حد ما".

بعث مصطفى، رسالة لأمه ليخبرها أنه قابل الفتاة التي سيتزوجها، والتي ستكتمل بها سعادته في بيته. جاءت أمه مسرعة لترى عروس ابنها المنتظرة، وفرحت باختيار مصطفى واحتفلوا بالزفاف دون تأخير.

أطلق مصطفى على عروسه اسم "كاراجوز"، الذي يعني "العيون السوداء"، وعاشا معًا في سعادة لسنين طويلة، ورزقا بابنين اسمياهما أوليج وتيمورز. وعندما أصبح الولدان شابين يافعين وتزوجا، وقعت كاراجوز فريسة للمرض فأرسلت في طلب ولديها وباركتهما كما باركت زوجتيهما ثم فاضت روحها إلى السماء.

بعد فترة أحضر صياد سمكة جميلة لمنزل مصطفى. كان لها عينان خضراوان لامعتان وتغطيها حراشف فضية لامعة. لم يرَ أحد من قبل سمكة بمثل جمالها. قال الصياد "أي شخص يأكل من هذه السمكة، ستسقط حبات من اللؤلؤ من عينيه عندما يبكي، وعندما يضحك ستسقط حبات الألماس من بين شفتيه".

اشترى مصطفى السمكة في الحال بألف قطعة ذهب. كانت زوجة أوليج هي التي تقوم بإعداد الطعام لمصطفى منذ وفاة السيدة كاراجوز.

"عزيزتي زوجة ابني، من فضلك اطهي هذه السمكة بيديك هاتين، أريدها على العشاء"، قال مصطفى لزوجة ابنه.

وافقت وأخذتها معها إلى المطبخ.

كانت زوجة الابن فتاة لطيفة وقانتة، بينما كانت زوجة تيمورز، على النقيض، شريرة وخبيثة إلى أقصى حد، فقد استرقت السمع للحديث بين مصطفى والصياد، وسمعت مصطفى وهو يطلب من زوجة أوليج أن تطهو له السمكة، فقررت على الفور أن تسرق السمكة وتعطيها لزوجها حتى يكون هو من تقطر عيناه لؤلؤا وفمه ألماسا.

أرسلت في طلب ممرضتها العجوز، وكانت ساحرة شريرة، وطلبت منها أن تسحر أخو زوجها وزوجته ومصطفى والده، وتجعلهم ينامون إلى الأبد حتى تتمكن من سرقة السمكة، وعندما كانت تهمس في أذن الساحرة الشريرة، سمعها خادم كسول كان نائمًا تحت السرير، وزحف خارجًا ليخبر زوجة أوليج.

أخبرت زوجة أوليج زوجها الذي قرر أن يتركا المنزل لفترة، وخرجا متنكرين إلى إحدى الغابات، وفي اللحظة نفسها دخل تيمورز وسأل أخاه "إلى أين أنت ذاهب؟" كانت زوجتي تبحث عنك لتعطيك هدية عيد ميلادك". أخبره أوليج بخطة زوجته الشريرة، وكانت زوجة أوليج تبكي وتنتحب، ولكن تيمورز قال لها "لا تبكي يا أختي، فلنذهب كلنا معًا. تعالي، سنأكل نحن السمكة ونترك تلك المرأة الشريرة لمؤامراتها".

أكلوا كلهم واستمتعوا بالسمكة الغريبة ثم ارتدوا ملابس بسيطة بسرعة، وأخذوا صندوق الجواهر معهم وخرجوا تحت جنح الليل. كان في الحظيرة حصان واحد أبيض ضخم، فقفز الثلاثة فوق ظهره وفروا إلى الغابة.

ركبوا الحصان لفترة طويلة حتى ابتعدوا كثيرا عن البيت، وعندما هبط المساء كانوا لا يزالون في طريقهم. حل التعب بالحصان وبدأ في التباطؤ على حافة غابة كبيرة.

نزل الهاربون الثلاثة من فوق ظهر الحصان، وبدأ تيمورز في جمع الخشب لإشعال نار لتبعد الحيوانات المفترسة عنهم.

ذهب أوليج داخل الغابة بحثًا عن المزيد من الخشب، ولكنه ضل طريقه بعد قليل. دار حول نفسه محاولاً أن يعود إلى زوجته وأخيه، وفجأة ظهر أمامه فيل ضخم عليه لجام ملون بألوان زاهية ومرصع بالجواهر وكان يجأر بأعلى صوته. كان على ظهره هودج ضخم ذهبي مرصع بأحجار كريمة وسلاسل كبيرة، حمل الفيل أوليج بخرطومه وأجلسه على الهودج، وبتؤدة وثقة سار الفيل في طريقه في الغابة وفوقه أوليج المندهش إلى مدينة كبيرة متلألئة كما يتلألأ المرمر الأبيض في ضوء القمر.

فتحت البوابات عندما اقترب الفيل وتجمع جمع غفير على الرغم من انتصاف الليل، "لقد جاء الفيل بملكنا"، صاح الناس وانحنوا جميعًا أمام أوليج . ركع الفيل، وتقدم الوزير ليحييه قائلاً: "يا صاحب الجلالة، كل عام عندنا يموت ملكنا، يذهب هذا الفيل ويأتي لنا بحاكم جديد. فهو فقط المخول بإيجاد ملكنا".

"ولكن كيف لكم بملك جديد كل سنة؟" سأل أوليج بعد ارتياح.

"لا نعرف ماذا يحدث، ولكن كل اثني عشر شهرًا يموت لنا ملك، شابًا كان أو كهلاً، خجولاً أو شجاعًا، وسيمًا أو قبيحًا، وفي كل مرة يختار لنا الفيل ملكًا جديدًا يتزوج من الملكة ويحكم ما دام قادرًا، ثم نجده ميتًا في غرفته الملكية بعد اثنى عشر شهرًا من زواجه، وهكذا دواليك.

ودون مزيد من الجدل، أخذوا أوليج ليقابل الملكة التي استقبلته بفرح. كانت صغيرة السن ورائعة الجمال، ولا يبدو عليها أي أثر لحزن على فقد خمسة عشر زوجا.

"تعال إلى حجرة النوم الملكية يا مليكي"، قالت بصوت مثل صوت العندليب، وقادته لحجرة مكسوة بالحرير. هناك نزع عنه ثلاثة من الخدم ثيابه وأعطوه رداءً نوم من الكتان وانسحبوا خارجين من أمامه، وكانت الملكة قد اختفت.

"أنا الملك إذًا؟" قال لنفسه وهو يرقد على غطاء حريري مطرز بالجواهر. كان يشعر بعدم ارتياح لتفكيره فيما سيحدث بعد ذلك، فتظاهر بالنوم. بعد دقائق قليلة سمع حركة خفيفة ورأى الملكة تتسل إلى الغرفة، كان شعاع من ضوء القمر ينعكس على وجهها، ورأى أوليج أنها قد تغيرت كثيرًا على الرغم من أنها لا تزال في الملابس الملكية. تغير وجهها وتحولت إلى حية خضراء عملاقة، وفي غمضة عين قفز من مكانه وأمسك بها من عنقها جيدًا واستل خنجره وقطع رأسها. في اللحظة نفسها التي قتلت فيها الحية ظهرت الملكة الصغيرة الجميلة مرة أخرى. لقد فُك السحر وذهب الشر ومعه كل الذكريات الأليمة، وأصبحت كل الأمور على ما يرام في المملكة مرة أخرى. وبذلك نسي الشاب كل شيء عن زوجته وأخيه واستقر مع الملكة ليحكم البلاد كما لو كان ذلك قدره.

في تلك الأثناء، وقت شروق الشمس على ضفاف النهر، كان تيمورز يبحث عن أخيه، لكن لم يجد له أثرًا. عاد إلى زوجته التي قرأت الخطر على وجهه. قالت "ربما أخذه وحش مفترس إلى الغابة أو تمساح إلى النهر"، وأحنت رأسها في أسى. أجاب تيمورز "فلأذهب إلى النهر مرة أخرى. لعله يكون هناك الآن".

تركها تيمورز تحت شجرة ومعها صندوق الجواهر وانطلق مرة أخرى يملؤه الأمل بأن يكون أخوه ما زال حيًا، وعندما وصل إلى النهر لم يجده فراح يبكي، وتحولت الدموع الساقطة من عينيه إلى لآلئ لأنه كان قد أكل من السمكة المسحورة.

وفي تلك الأثناء مر به مراكبي أدهشه أن يرى شابًا يبكي وبجانبه كومة من اللؤلؤ "آه، يبدو ذلك مثيرًا"، قال في سره وتسلل إلى ضفة النهر خلسة وأمسك بتيمورز وأحكم وثاقه ورماه في مركبه.

قال تيمورز "أرجوك أطلق سراحي"، قال واللؤلؤ يتساقط من عينيه "أخي مفقود وزوجته وحدها هناك على أطراف الغابة".

"لا، سآخذك معي إلى البيت فأنت من سيصنع حظي وثروتي أيها الشاب"، قال المراكبي القاسي وأبحر متجهًا إلى بيته.

حُبِس تيمورز في غرفة مظلمة وراح يبكي سوء حظه ومصيره، وكان بذلك يزيد من اللؤلؤ المتساقط من عينيه كل يوم، وكان الرجل الشرير يأخذ اللؤلؤ كل يوم إلى السوق ليبيعه ويقول إنه وجده في النهر.

في تلك الفترة، على أطراف الغابة ولدت زوجة أوليج طفلاً على يده وحمة غريبة لها شكل طائر الهدهد؛ وعلى الرغم من كونها وحيدة فإن خوفها بدأ في الزوال مع الوقت. أرضعت طفلها وغنت له وبدأت الشمس تشرق في الآفاق ثم غلبها النعاس.

قَدِم إلى الغابة رجل كان مديرًا لشرطة ذلك الجزء من المنطقة. لم يكن له أولاد من صلبه، وعندما رأى امرأة فقيرة في ثياب رثة راقدة وعلى ذراعها طفل صغير، قرر أن يخطف الطفل. أخذ الطفل في هدوء من حضن الأم وتسلل داخل الغابة.

من الصعب تخيل الرعب الذي خيم على زوجة أوليج عندما أفاقت لتجد نفسها وحيدة بدون طفلها، راحت تجول في الغابة تبكي وتنادي طفلها طوال اليوم دون طعام أو شراب، فضلت طريقها داخل الغابة، إلى أن وجدها رجل عجوز

وزوجته، كانا يعيشان في أرض فضاء في الغابة، وأخذاها واعتنيا بها كما لو كانت ابنتهما.

مر عامان. المراكبي الذي احتجز تيمورز مرض ومات، واستطاع تيمورز الهرب بكيس كبير مليء باللؤلؤ وجده في المنزل. بعد أن باع اللؤلؤ في المدينة المجاورة سافر ليجد نفسه على أطراف الغابة في البقعة نفسها التي قد فقد فيها أخاه وزوجته. لم يكن هناك أحد، جلس وسند ظهره على شجرة يفكر في طريق يسلكه.

لم تمر سوى دقائق قليلة حين ظهر رجل عجوز وبجانبه امرأة صغيرة قادمين من الغابة، كانت تقول: "هنا فقدت زوجي وأخاه ليلة ولد طفلي"، ثم وقعت عيناها على تيمورز فجرت وألقت بنفسها بين ذراعيه. قال تيمورز" أختي الحبيبة، من الرائع أن أجدك على هذه الحالة بعد أن فقدتك منذ أكثر من سنتين". أخبرها بقصته من البداية للنهاية، وبدورها أخبرته بما حدث لها وكيف أنها جاءت مع العجوز إلى هذا المكان لتريه إياه. قال لها العجوز: "اذهبي الآن مع أخي زوجك، ابحثي عن زوجك وابنك فأنا واثق من أنهما لا يزالان على قيد الحياة. من الواجب عليك أن تجديهما أينما كانا"، وبعد أن ودعها عاد إلى الغابة.

في ذلك اليوم نفسه كان أوليج - الذي قد نسي تمامًا كل شيء عن زوجته وحياته السابقة – قد أصبح ملكًا لأكثر من عامين، وذات يوم قرر أن يخرج للصيد على ظهر فيله ووصل إلى المكان نفسه، وعندما وقعت عيناه على الشخصين الجالسين على جذع شجرة كانت قد سقطت، عادت ذاكرته إليه فعرفهما. نزل من على ظهر الفيل وهو في منتهى السعادة وقد جمعه القدر مرة أخرى بزوجته وأخيه.

"تعالا معي يا أحبائي إلى مملكتي"، وكان يضحك والألماس يتساقط من بين شفتيه.

أجابت زوجته "لا أستطيع أن أذهب معك حتى نجد ابننا".

وعندها قرر الثلاثة أن يذرعوا الأرض كلها شرقًا وغربًا حتى يجدوا الطفل. سافروا على ظهر الفيل ووصلوا أخيرًا إلى منزل رئيس الشرطة حيث كان الولد يلعب في الحديقة، وعندما رأته الأم عرفت أنه ابنها من الوحمة التي على يده اليمنى.

أخذ أوليج الولد ووضعه في الهودج على ظهر الفيل قبل أن يشعر بهم رئيس الشرطة أو زوجته، ووصلوا بعد رحلة طويلة إلى قصر المرمر الأبيض الملكي وخرجت الملكة لاستقبالهم.

"من هؤلاء؟" سألت الملكة أوليج عندما رأتهم ينزلون من على ظهر الفيل.

قال:"إنها قصة طويلة". دخلوا كلهم القصر، وروى لها القصة كلها، "وهذه زوجتي الأولى، وعلى الرغم من أنك الملكة ستكون هي المفضلة لدي دائمًا، ولا بد من أن تكونا أختين".

تعانقتا المرأتان وتعاهدتا على رعايته طول حياتهما. عاشتا في سعادة مع الأخوين في تلك المملكة البعيدة، يتساقط من بين شفاههما الألماس كلما ضحكا، ولكنهما لم يبكيا لؤلؤًا قط، حيث عاشا في سعادة إلى آخر العمر.

صياد الطيور الفقير والطائر المتكلم

في يوم من الأيام كان يعيش في مكان غير بعيد عن إسطانبول رجل فقير. كان معتادًا على صيد الطيور بواسطة شباك يعلقها في أشجار الغابة، ثم يأخذها ويبيعها في بلدة قريبة.

وذات يوم صاد طائرًا ذهبيًا جميلاً؛ له منقار أحمر وذيل أصفر وجرس فضي في قدمه اليمنى.

"أيها الرجل أطلق سراحي من هذه الشبكة"، قال الطائر،" فأنا لست طائرًا عاديًا، وإذا أطلقت سراحي فسوف أساعدك على جمع ثروة كبيرة".

لم يصدق ذلك الرجل، واسمه محمد، أذنيه عندما سمع الطائر يتكلم بصوت بشري، وأخيرًا سأل: "كيف لطائر مثلك أن يتكلم ويكون من الحماقة بأن يقع في شباكي؟"

أجاب الطائر"من أسف أنني لم أنظر إلى أين كنت أسير فوجدت نفسي أسير شباكك، صاحبتي، وهي الأميرة، كانت تصطاد مع إخوانها وكنت جاثما بسعادة على معصمها، وفجأة انقض عليَّ صقر من السماء ففزعت جدًا وطرت من على معصم سيدتي، ودخلت المنطقة المظلمة من الغابة. إن سيدتي ستشعر باليأس بعد اختفائي حيث اعتادت أن تخبرني بكل أسرارها، وهي من علمتني الكلام لأكون لها رفيقًا".

سأله محمد "هل تأتي معي وتعيش في كوخي الصغير وتتحدث إليَّ؟"

"لا، لا، لا" أجاب الطائر،"يجب أن تأخذني إلى سيدتي في الحال، ستفتقدني كثيرا وسوف تكافئك بالكثير من الذهب إذا أعدتني إليها سالمًا معافى".

"وكيف لي أنا صياد الطيور الفقير أن أجد الطريق وأدخل إلى قصر سيدتك العظيمة؟"، سأله محمد.

"دعني أقبع على كتفك وسأدلك على الطريق"، أجاب الطائر مضيفًا "ولكن أعطني بعض الماء لأشرب وبعض الحبوب لآكل؛ لأني أشعر بالإعياء من العطش والجوع".

أخذ محمد الطائر إلى بيته ووضع الماء وبعض الحبوب على كفه؛ حتى يتسنى له الجلوس براحة على يده ويأكل. وعندما استرد الطائر عافيته قال: "لا بد من أن تأخذني إلى سيدتي الآن، لا أستطيع أن أطير هناك بسبب الصقور التي تملأ السماء، كما أن القصر بعيد جدًا".

ارتدى محمد ملابسه الرثة وحذاءه المرقع وانطلق والطائر على كتفه يرشده للطريق. أخيرًا، وصلا إلى جبل كبير، وسار محمد في طريق ملتوٍ حتى وصلا إلى قصر جميل مبني من الرخام الأحمر.

"دق الباب واسأل عن قائد الحرس"، قال الطائر عندما وصلا إلى باب ضخم مطعم بالنحاس. فعل محمد ما أملاه عليه الطائر، ورد عليه كبير الحراس ذو السوالف السوداء والعينين السوداوين الصغيرتين قائلاً:"من أنت كي تجرؤ وتسأل عني أيها المحتال الرث الثياب؟"

"لقد أتيت بطائر الأميرة"، أجاب محمد.

إجابته تلك جعلت قائد الحرس يفتح له الباب الكبير المؤدي إلى ساحة القصر.

"حسنًا! لقد فعلت ما تريد، أعطني الطائر واذهب من حيث جئت، لا يمكنك التقدم أكثر من ذلك"، أجاب قائد الحرس.

قال الطائر مصدرًا صوتًا بجرسه الفضي: "ستقدم الأميرة مكافأة كبيرة على عودتي، يجب أن تدعه يعبر أيها القائد وإلا ستعرف الأميرة بهذا الأمر".

اتسعت عينا قائد الحرس بالحقد والكراهية حين سمع تلك الكلمات، وقال: "إذًا سوف أطلب المكافأة لنفسي".

ولكن الأميرة نينوفار كانت في شرفتها ورأت ما كان يدور، فصفقت بيديها في سعادة غامرة "لقد عاد طائري الذهبي الحبيب"، قالت وهي تعدو مسرعة إلى ساحة القصر وحولها جواريها.

عندما رآها قائد الحرس احمر وجهه. وأخذت الأميرة الطائر على رسغها وطلبت من محمد أن يخبرها بالقصة كلها.

"ستأخذ كل ما تستطيع حمله من ذهب"، قالت الأميرة: "لا يمكنني أن أفقد طائري الحبيب مهما كلفني الأمر، وسألته "ماذا تعمل؟"، كانت تنظر إليه وإلى قوته وشبابه غير آبهة بثيابه الرثة وحذائه المرقع.

"أنا صياد طيور يا مولاتي"، أجاب محمد "أعيش في الغابة وكل يوم أنصب شباكي، وبعد أن أصطاد عددًا كافيًا من الطيور أبيعها في المدينة القريبة".

"لماذا؟"، سألت الأميرة، "من الآن فصاعدًا لن تصطاد الطيور لأنك سوف تشرف على الطيور في بيت الطيور".

استدعى رئيس الوزراء الذي أخذ محمد وأعطاه مائة قطعة من الذهب وبعض الملابس الجديدة التي تناسب وضعه الجديد. ذهبت الأميرة إلى إخوتها وأخبرتهم بأنها سوف تتزوج محمدًا ولا أحد غيره وإلا ستبقى وحيدة باقي عمرها. كانت عاقدة العزم على ذلك حتى وافق إخوتها وأقاموا حفلاً كبيرًا بمناسبة زفاف أختهم.

تزوج محمد ونينوفار وعاشا في هناء وسعادة في القصر الرائع المطل على البسفور.

حكايات من بلاد فارس

الأميرة فيروز والأمير الحصان

فى يوم من الأيام كانت تعيش فى إيران أميرة جميلة اسمها فيروز وهي كلمة تعني التركواز. عاشت تلك الأميرة في قلعة كبيرة على جبل عالٍ، ولكنها كانت وحيدة، حيث عاشت في تلك القلعة منذ نعومة أظفارها تلعب على أرضيتها الرخامية في جناح الحريم، حيث تعقد والدتها الشاهبانو مجلسها. ووالدها الشاهنشاه، أو ملك الملوك، بعيدًا يزور أبعد مكان فِي مملكته، وكانت تفتقده بشدة. كانت والدتها سيدة عظيمة ولم يكن لديها الوقت لتلعب مع ابنتها، وكانت تحب زيارة ملكات البلاد المجاورة، واختيار المجوهرات الجديدة، والحديث حول الفساتين الجديدة، ولا أكثر من ذلك.

والدها، من ناحية أخرى، كان يلعب معها، وقد علمها لعبة الشطرنج ولكنه عندما كان بعيدًا لم يكن هناك من يلعب معها الشطرنج، حيث كان كل رجال البلاط يدعونها تفوز احترامًا لها.

ذات يوم ارتدت الأميرة ملابس صبي ومعطفًا مبطنًا وأخذت معها حصانها المفضل سالم، وذهبت لتبحث عن والدها.

سارت في طريقها حتى وصلت إلى ضفة نهر ذي مياه بيضاء، كان التيار قويًا لدرجة أخافتها ولكن سالم الشجاع؛ أحد خيول والدها في الحروب، اندفع بجرأة وحملها للجانب الآخر، وهناك وجدت مخلوقًا وحشيًا له أسنان ضخمة وحادة مثل التمساح، وشعر أسود كثيف مثل فراء الدب.

"آدمي"، قال الطائر الوحشي، "قدم لي هذا المعروف ولك كل ما تتمنى".

"ماذا تريد؟" سألت الأميرة بجرأة حتى لا يشعر هذا المخلوق برعبها، وترجلت عن حصانها ووقفت أمامه بشجاعة.

"احمل هذه الرسالة إلى أخي الذي يعيش في القلعة هناك".

أمر الكائن الوحشي وهو يشير باتجاه القلعة القابعة على قمة تل بعيد، وأضاف "سيمنحك ما تريد من أجلي".

"حسنًا" أجابت الأميرة بالإيجاب، "أعطني الرسالة".

"عندما تصل إلى القلعة أخبر أخي أني قد حولت الشاهنشاه إلى حصاة احتفظ بها في حافظتي، وسأنصب نفسي شاهًا على إيران كلها بدلاً منه، وسوف أدعوه إلى حفل تتويجي وجلوسي على العرش الذي سيكون في العاصمة أصفهان بعد ستة أيام. سيقوم أخي بعد ذلك بمنحك ما تريد والآن اعتلي حصانك وانطلق".

اعتلت فيروز حصانها وبدأت طريقها نحو القلعة إلى الكائن الوحشي الثاني وهي مذهولة شاردة، لا تدري ماذا تفعل وكيف لها أن تنقذ والدها وهو الآن في حافظة الوحش الأول؟

حاولت أن تفكر في خطة ولكنها لم تفلح، وأسرع حصانها الشجاع في عدوه يسابق الريح وسرعان ما وصلا إلى بوابة القلعة الضخمة الحصينة.

"افتح أيها الوحش"، صاحت الأميرة بينما كان الرعب يملأ قلبها "معي رسالة من أخيك الذي يقطن بجانب النهر الأبيض".

فتح الباب في الحال ورأت وحشًا أبشع من السابق، بل وأكثر شرًا منه.

زأر قائلاً "ادخل يا ولد"، ستنعم بحسن ضيافتي، ما الرسالة التي تحملها؟"

"أخوك يدعوك إلى حفل تتويجه في أصفهان بعد ستة أيام؛ حيث إنه ألقى القبض على الشاهنشاه ويعتزم تنصيب نفسه بدلاً منه".

"رائع"، أجاب الوحش "اجلس هنا على هذه الأريكة، وكل اللحم العالق بتلك العظمة، تبدو جائعًا. ماذا تطلب مني؟"

"أريد نصلاً سحريًا تقطع رأس العدو مثل البرق"، قالت الأميرة.

ضحك الوحش طويلاً بصوت مرتفع "لك ما تريد أيها الفتى، أنت صبي شجاع وتستحق ذلك".

وقبل أن يتم كلماته أحست الأميرة بثقل في يدها اليمنى ورأت أنها تحمل سيفًا ذا نصل حاد، وضعته في غمده وامتطت حصانها.

"أراك يوم التتويج إذًا"، ضحك الوحش بينما كانت فيروز تبتعد.

سارت عائدة حتى وصلت إلى ضفة النهر الأبيض، وهناك كان الوحش الأول جالسًا على جلد ثور. وقفت الأميرة خلفه على ظهر سالم.

"أحسنت أيها الفتى"، زأر الوحش "هل أخذت مكافأتك؟"

"نعم"، أجابت الأميرة وهي تستل السيف من غمده، وبينما كان الوحش يقترب ليمعن النظر قامت الأميرة بقطع رأسه بسرعة البرق، وترجلت من على حصانها وبحثت عن الحصاة في حافظته، وأخذتها معها لتعبر النهر مرة أخرى.

أسدل الليل ستاره ووجدت فيروز مأوى في كهف وتدثرت بمعطفها المبطن، بينما كان سالم واقفا على مدخل الكهف ليحميها.

نامت حتى انتصف الليل واستيقظت لترى ضوءًا في نهاية الكهف، وسمعت صوتًا يقول "أفيقي أيتها الأميرة واستمعي إلي .. أنا ملاكك الحارس".

قفزت الأميرة ووقفت، ورأت حورية جميلة ترتدي ذهبًا لامعًا تقف في منتصف نار حمراء "أعطني الحصاة أيتها الأميرة، سأساعدك على إعادة والدك لهيئته الأولى".

كانت الأميرة على وشك أن تعطيه الحصاة عندما هَمَّ سالم بهز يدها فوقعت الحصاة على الأرض، وقال بصوت عالٍ "لا، لا أيتها الأميرة، هذه ليست حورية ولكنها كائن وحشي تريد أن تستولي على الشاهنشاه".

وبينما كان الحصان يتحدث اختفت النار وتحولت الحورية الجميلة إلى امرأة بشعة، واختفت كذلك مصدرة صوتًا كفحيح الأفاعي.

"ولكنك تتكلم الآن يا سالم"، صاحت الأميرة فيروز، "ساعدني لأجد الحصاة فقد وقعت هنا على الأرض".

"ها هي ذا" قال الحصان وهو ممسك بالحصاة بين أسنانه وقدمها للأميرة، التى وضعتها بحرص في جيبها.

سألته الأميرة "كيف لك أن تتحدث بلغتنا وأنت حيوان؟"

أجاب الحصان: "أنا أمير مسحور، سحرني مشعوذ في عيد ميلادي الثامن عشر لأنني تحدثت معه بغطرسة"، وهز شعر عنقه بكبرياء.

"ولكني محبوس في هذا الجسد إلى أن يخرجني حب امرأة".

"أرجو أن يتم هذا على خير"، قالت الأميرة في خجل، "دعني أمتطيك الآن أيها الحصان الطيب كي نذهب إلى سيدة أصفهان الحكيمة؛ لكي تجد لنا طريقة نعيد بها والدي إلى حالته الأصلية".

قفزت الأميرة على السرج مرة أخرى وأسرع الحصان بها حتى وصلا أصفهان. كانت سيدة أصفهان الحكيمة تعيش في بيت مرتفع موصد الأبواب

والنوافذ، لها شعر أبيض وأنف ملتو مثل منقار الببغاء، وترتدي فستانا من المخمل الأخضر المطرز بأزهار وردية من شيراز. عندما دخلت الأميرة مكتبتها استمعت السيدة العجوز إلى القصة كاملة دون أن تتكلم، ثم قالت "كنت أعرف بمجيئك لأنني كنت أنظر في مرآتي السحرية قبل ساعة، نعم! لدي مسحوق خاص يمكن أن يعيد الشاهنشاه إلى هيئته السابقة. دعيني ألقيه أولاً على المجمرة".

وقفت الأميرة المتعبة في ثيابها المتسخة تنظر إلى الساحرة في دهشة وتعجب وهي تقوم بعملها. وضعت الحصاة أولاً على الأرض ورسمت حولها علامة الملك سليمان السحرية، ثم رشت على الفحم المتأجج ذرة من المسحوق السحري. تمتمت ببعض الكلمات واشتد وهج النار التي تحولت إلى الاحمرار ثم الزرقة، ثم ما لبثت الأميرة أن رأت والدها واقفًا أمامها، لم تتمالك نفسها من السعادة والفرح. نزلت السيدة على ركبتيها إجلالاً للشاهنشاه ولكن الشاهنشاه ساعدها على الوقوف.

"لك ملء فمك من الجواهر أيتها الأم الطيبة"، أعلنها الملك وفرحت السيدة أيما فرح.

عادت الأميرة إلى القصر وصهل الحصان معلنًا فرحته عندما قبلت الأميرة أذنيه البيضاء وشعر رأسه، وهمست له "أحبك أيها الأمير الحصان"، قبل أن تتم كلماتها كان الحصان قد اختفى وظهر أمامها أمير وسيم طويل. تزوجا في حفل زفاف دام سبعة أيام وسبع ليال من الفرح والبهجة في كل مدن إيران.

النســـاج والوحــش

كان يا ما كان في سالف الزمان، في نيسابور القديمة، نساج فقير يُدْعَى عبد اللطيف، وكانت زوجته فاطمة تقول له دائمًا "لو كان لك رأسان وزوجان من الأيدي لاستطعت أن تنسج قماشًا أكثر، ولكان لدينا مال أكثر".

ذات ليلة بينما كان يعمل بمفرده على النول، وجد كائنًا صغيرًا متشابكًا في بكرات الصوف يقول له "من فضلك ساعدني لأخرج من هذا الشرك، ولك ما تريد".

ساعده النساج على الفكاك من خيوط الصوف، فقال له الكائن الصغير بدوره: "اطلب شيئًا وسألبيه لك".

"زوجتي فاطمة تتمنى أن يكون لي رأسان وزوجان من الأيدي، فهل لك أن تفعل ذلك؟"، سأله النساج.

أجاب الكائن"لك ما تريد، إذا كان ذلك ما تريد".

نظر عبد اللطيف في المرآة فوجد أن له رأسين وزوجين من الأيدي. جرى في البلدة وهو يصيح "انظروا ما حدث لي"، خرج الناس من بيوتهم صائحين "الوحش، الوحش". كانوا يظنون أنه شيطان وراحوا يضربونه بالعصي والأحجار، وأخرجوه من المدينة فلم يره أحد فيها بعد ذلك.

لذا إذا كانت لديك الفرصة لتحقيق أمنية واحدة، فكر مليا كيف تختار.

الساقي والجوزات الثلاث

كان هناك فقير يعمل ساقيًا ويعيش مع زوجته في منطقة نائية من بلاد فارس. كانا كل يوم ينعيان حظهما لأن الله لم ينعم عليهما بأطفال، وكان الساقي بعد أن يفرغ من عمله يذهب ليجلس تحت شجرة جوز، وهناك يحلم بأن لديه ثلاثة أولاد أقوياء يستطيع الاعتماد عليهم في شيخوخته.

قال ذات مساء "آه يا شجرة الجوز!" لو حظينا أنا وزوجتي بثلاثة أولاد يساعدوننا في أرذل العمر، فلسوف نكون أسعد الناس في هذا العالم".

كانت الشجرة التي يجلس تحتها شجرة مسحورة، سحرها سليمان نفسه. وعندما انتهى الرجل من حلمه وقعت بجانبه ثلاث جوزات. انكسرت كل واحدة منها ليظهر فيها ولد صغير. قال كل منهم "ها أنا ذا يا أبتي، أطلق عليّ ما شئت من الأسماء".

أطلق عليهم الساقي: مبارك ومسعود ورشيد، وانطلق بهم فرحًا إلى زوجته. كبر الأولاد سريعًا وكانوا أطول وأقوى من والديهم.

قال الساقي "يا أولادي، يجب أن تشقوا طريقكم لتكسبوا المال وتساعدوننا في باقي أيامنا".

انطلقوا في طريقهم وأخذوا معهم قربة ماء مسحورة مصنوعة من جلد الماعز وخبزًا يكفي لمدة أسبوع. ساروا حتى وصلوا في نهاية الأيام السبعة إلى

مدينة كبيرة. كان كل الناس في تلك المدينة في حالة حداد، والنساء تبكين، فسأل مبارك "ما خطب هذه المدينة؟ لِمَ يعم الحزنُ الجميع؟"

أجابت امرأة عجوز وهي تمسح عينيها وأنفها بغطاء رأسها: "لقد خطفت بنات ملكنا الثلاث، ونحن في حالة حداد لأن الملك طيب ونبيل، والبنات هن الأجمل في البلاد".

ذهب مبارك ومسعود ورشيد للقصر، وطلبوا مقابلة رئيس الوزراء، وقالوا له "أبلغ الملك بأننا سوف نجد الأميرات".

أجاب كبير الحراس "ماذا؟ كيف تجرؤون أيها المعدمون الثلاث أن تأتوا إلى هنا وتطلبوا مقابلة رئيس الوزراء؟ اغربوا عن وجهي وإلا ستجدوا ما لا يعجبكم".

في الوقت نفسه كان الملك في طريقه عائدًا من المسجد حيث كان يصلي الجمعة، وسمع الثلاثة أولاد يتحدثون وسمح لهم أن يوجهوا طلباتهم له.

قال مبارك "يا مولاي نود أنا وإخوتي أن نساعد في البحث عن الأميرات لأننا سمعنا بخطفهم. لو أخبرتنا ببعض الأمور نستطيع أن نذهب وننقذهم".

تعجب الملك من أمر هؤلاء الصبية لجرأتهم معه؛ لذا نالوا إعجابه وتقديره.

قال الملك "لقد بحث جنودي عنهم في كل مكان، وشعبي كله في حالة حداد كما ترون، لو وجدتم بناتي سيكون لكم ما تطلبون، بارك الله فيكم، وأتمنى أن تجدوهن في أسرع وقت ممكن".

ذهب الإخوة الثلاثة إلى مطبخ القصر، وحملوا مؤونة غذاء تكفيهم لمدة أسبوع ثم انطلقوا في طريقهم للبحث عن الأميرات.

وصلوا إلى مفترق طرق وقرروا الجلوس للتفكير في خطط كل منهم.

قال مسعود "دعونا نخيم هنا، وفي اليوم الأول يذهب واحد منا باتجاه الغرب، ويذهب الثاني شرقًا، ويبقى الثالث ليعد لنا الطعام. ثم في اليوم الثاني يذهب واحد جنوباً والثاني شمالاً، بينما يبقى الثالث ليطهو لنا الطعام ويحرس المكان".

وافقوا على هذه الخطة واستمر الوضع على هذه الحال لمدة أسبوع، ولكنهم لم يجدوا أثرًا لبنات الملك ولم يسمعوا من أحد أي أنباء تفيدهم في البحث. وبينما كانوا يجلسون حول النار مر بهم رجل عجوز زادته السنون خبرة وحكمة.

قالوا في نفس واحد "مساء الخير يا أبتي، تعال دفّئ نفسك معنا أمام النار".

قال الرجل وهو ينظر في القدر: "ماذا تطهون؟"

"يخنة مما تبقى لنا من طعام" أجاب مسعود، وأكمل "سنعود أدراجنا إلى الملك ونخبره بفشلنا في إيجاد البنات الثلاث".

"أطعموني من طعامكم وسأدلكم على الحل لتجدوا البنات الثلاث".

وليظهروا بمظهر الكرم أمامه ملأوا صحنه عن آخره، حتى أكل كل ما في القدر تقريبًا. أكل حتى شبع ومسح أصابعه في لحيته وقال: "أعرف يا أولادي مكان بنات الملك، تعالوا وسأريكم".

طلب منه مسعود أن يأخذ قطعة خشب مشتعلة من النار لتنير لهم الطريق. تركوا كل متاعهم وساروا خلفه في الظلمة، اقتادهم إلى كهف فدخلوا واحدًا تلو الآخر، وفجأة سمعوا ضحكة مجلجلة تصدر من الرجل العجوز قائلاً "ها، ها، ها، الآن كلكم هنا، ثلاث بنات وثلاثة أولاد، سأسمنكم كلكم إلى أن يحين الوقت وآكلكم". ثم أغلق الباب على فتحة الكهف. نظر الثلاثة إخوة حولهم في ضوء الشعلة التي كان يحملها مسعود، رأوا ظلال البنات الثلاث وهن مكومات في ركن من أركان الكهف.

قال مسعود "لقد أتينا لننقذكن، فقد أرسلنا والدكن الملك لنبحث عنكن".

قالت الأميرة الكبرى "ولكننا كلنا محبوسون هنا، أيدينا وأرجلنا في القيد وقد أصابنا الوهن من طول فترة احتجازنا هنا في هذا الكهف".

وقبل أن تنتهي من حديثها سمعت ضحكة من سجانهم، وسمعوه يقول "لا داعي لأن تخبري هؤلاء الصبية بما حدث فهم محبوسون مثلك تمامًا"، وسمعوه يضحك وهو يعدو بعيدًا.

قال مسعود مرة أخرى: "اسمعن أيتها الأميرات، أنا وإخوتي لسنا رجالاً عاديين، فقد خُلقنا من شجرة جوز مسحورة ولدينا القدرة على الهرب من أي مكان بسبب قدرتنا الفائقة، انظرن".

وبينما كانت الأميرات تنظر في دهشة واستغراب رفع الإخوة الثلاثة باب الكهف بكل قوتهم حتى فتح الباب، ثم قام مبارك بفك وثاق الأميرات الثلاثة وخرجوا كلهم مسرعين من الكهف، وذهبوا إلى المكان الذي سبق أن عسكر فيه الإخوة الثلاث.

كان بالقدر القليل من الطعام، أكلوا ما تبقى فيه، وكان القمر يضيء الليل، فقرروا كلهم بدء رحلة العودة إلى القصر قبل أن يكتشف الرجل العجوز أمرهم.

مع فجر اليوم التالي أبصروا واحة، وعندما نظروا وراءهم رأوا سحابة صغيرة تلوح في الأفق.

قال مبارك لأخويه "غطوا الأميرات بعباءاتكم فأنا متوجس من منظر سحابة الغبار هذه"، وقبل أن يتم كلامه ظهر الرجل العجوز على ظهر جمل يعدو بأقصى سرعة.

"قفوا"، قال العجوز: "أنتم سجناء لدي وسأسحركم كلكم، سأحولكم إلى ذهب خالص".

تحولت الفتيات إلى تماثيل من الذهب لأنهم بشر ووقعن على الأرض، ولكن لأن الإخوة كان لديهم قوة خاصة من شجرة الجوز المسحورة، تمتم كل منهم بكلمة سحرية فاحتفظ بشكله الآدمي. صرخ العجوز فيهم غاضبًا ورد عليه الإخوة الثلاثة معًا:

"باسم سليمان، بن داود عليه السلام اختفِ"، فاختفى كل أثر للعجوز وجمله.

ثم ذهبوا إلى الأميرات اللائي تحولن إلى ذهب، ورشوا عليهن قليلاً من الماء من قربة جلد الماعز، فعادت الفتيات إلى طبيعتهن الآدمية.

اشتدت حرارة الشمس وصارت الرمال أكثر غزارة حتى اشتدت صعوبة السير إلى أن وصلوا أخيرًا إلى واحة، حينها قال مبارك: "من الأجدر بنا أن نرتاح هنا حيث لا قبل لنا كلنا بحرارة الشمس هذه حتى مع قدرتنا الخارقة، التي وهبها لنا سليمان بن داوود عليه السلام، فنحن عبيد لهما".

جلست الفتيات الثلاث على الأرض، وشربن وغسلن أرجلهن في الماء حتى هدأت حرارة الشمس.

ثم جاءت عصابة من اللصوص ليسقوا جمالهم، وأثار المسافرون الستة دهشتهم فسألوهم في شك وريبة:

"من أين أنتم أيها الغرباء؟ وما وجهتكم؟"

أجاب مسعود ومبارك ورشيد: "نحن من هناك يا أخي، وذاهبون إلى هناك".

أثارت تلك الإجابة المقتضبة غضبهم، فقرروا مهاجمتهم عند حلول الليل.

قبل أن يهموا بالهجوم قال الإخوة الثلاثة بصوت واحد: "طيروا بعيدًا في السماء أيها الأشرار"، فقامت ريح عاتية أطارت قطاع الطرق وإبلهم في السماء، وما زالوا يدورون محلقين في السماء حتى يومنا هذا.

بقدوم الفجر أيقظ الإخوة الثلاثة الأميرات من نومهن، وقالوا كلمة سحرية فظهر أمامهم جمل ذو ستة سنامات، ركبت عليه الأميرات ثم الإخوة الثلاث، وبدأ الجمل يشق طريقه إلى القصر.

عندما وصلوا إلى البوابة جرى نحوهم كبير الحراس وجنوده حتى يساعدوا الأميرات في النزول. نزل الإخوة الثلاثة واختفى الجمل ذو السنامات الستة بعد أن أثار دهشة واستغراب الناس. أُخذت الأميرات إلى جناح الحريم حتى يتخلصن من تعب وعناء الطريق. عندما سمع الملك بنبأ عودة بناته شكر الإخوة الثلاثة من صميم قلبه على ما فعلوه.

أُقيم حفل كبير تلك الليلة لم ترَ مثله هذه المدينة من قبل، وأُجلس مسعود ومبارك ورشيد بجانب الملك تقديرًا لهم.

قال الملك لأقرب الإخوة إليه "أيها الفتى، في حضور كل هذا الجمع أسألك أنت وأخويك أن تطلبوا ما تشاءون، ولكم إياه بعد أن أعدتم لي بناتي الحبيبات".

قال مسعود "أيها الملك النبيل، لا أريد شيئًا".

قال مبارك "أيها الملك النبيل، لا أريد شيئًا".

قال رشيد "أيها الملك النبيل، لا أريد شيئًا".

أجاب الملك "أحسنتم قولًا، املأوا أفواههم ذهبًا وجواهر".

تهلل الحضور عندما جاء أمين الخزانة وشاهدوه يملأ أفواه الإخوة الثلاثة بأغلى الذهب والجواهر.

أرادت الأميرات أن يتزوجن من الإخوة الثلاثة ووافق الملك، ولكن مبارك ومسعود ورشيد أرادوا العودة إلى الساقي العجوز وزوجته، اللذين قاما بتربيتهما، وأن يعطوهما الذهب والجواهر.

قالوا لبعضهم البعض "هذا سيكفيهم بقية أيامهما".

وبينما كانت الأميرات يرتبن لهذا الزواج الثلاثي سافر الإخوة الثلاثة، وتركوا لكل أميرة جوزة ذهبية مع رسالة تقول:

"لا تستطيع أميرة أن تتزوجني لأني ولدت من شجرة جوز".

أخبر مسعود ومبارك ورشيد الساقي وزوجته بالقصة كلها ومغامراتهم فيها، وقدموا لهما الذهب والجواهر. ودَع الإخوة الثلاثة والديهم بالتبني، حيث شعروا بالرغبة في السفر مرة أخرى، وما زالوا في ترحال دائم حتى الآن، ولم يرَهم الساقي وزوجته منذ ذلك اليوم.

رستم والقلعة الحديدية

كان في إيران القديمة بطل مشهور اسمه رستم، ولد في زمن قصة العصفورة سيمورج المشهورة بريشها السحري، وهي التي قامت بتربية رستم منذ طفولته الباكرة، وعندما همَّ بتركها أعطته ريشة وهي تقول: "إذا احتجت إليَّ في أي وقت، ألقِ هذه الريشة في النار وسآتي إليك وأنقذك من أي كارثة أيًا كانت".

انطلق رستم يشق طريقه يصطاد أسوذا ونمورًا ويحارب عمالقة وكائنات وحشية، وكان لديه "طاقية" سحرية مصنوعة من جلد أسد تجعله يختفي حين يضعها فوق رأسه.

كان لرستم عدو واحد هو بالمان الشرير، الذي كان يتفاخر أمام البلاط بأنه سوف يهزم رستم الجبار ويقيده بالسلاسل. انطلق ذلك الشرير يبحث عن رستم وعندما وجده تقاتلا حتى أعياهما القتال فارتمى كلاهما على الأرض فاغرًا فاه من التعب.

قال بالمان الشرير "استسلم وكن عبدي".

"لن يحدث"، قال رستم ثم استجمع قواه مرة أخرى فنهض وانصرف تاركًا عدوه مُلقى على الأرض.

عندما عاد بالمان مرة أخرى إلى البلاط سأله الجميع "ها! ها! ماذا حدث؟ لماذا لم تحضر معك رستم الجبار بطل إيران مكبلاً في أصفاده كما ادعيت مسبقًا؟"

اسود وجه بالمان، كان خجلاً، وأقسم في داخله أن يخدع رستم ويجعله يأتي إليه ويذبحه كما يذبح وحوش البرية. قام ببناء قلعة حصينة ضخمة فوق الهضاب وغطى حوائطها الخارجية بألواح حديدية، كانت أقوى قلعة بُنيت في العالم أجمع، ووضع رجالاً مسلحين على أسوارها. تقدم رجل حكيم وتنبأ بأنه سوف يهزم رستم لو حاربه؛ لذا بعث برسالة إلى رستم يخبره فيها بأنه يريد مقابلته هناك.

عندما امتطى رستم حصانه روك الذي شاركه كل صولاته وجولاته، وسارع في عدوه حتى وصل إلى بوابة القلعة، نظر إليه بالمان وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال: "هلم إلى قلعتي! سنبدأ النزال لنرى من هو أقوى بطل في إيران كلها".

فتح البوابة وأرسل عفريتين بشعين يدعيان يارابوش وكيبوش فهجما على رستم وهو يدخل القلعة، ولكن رستم أطاح أحدهما بهراوته الضخمة، وتولى روك أمر الثاني ليطيح به بعيدًا هو الآخر، ثم ارتدى رستم "طاقيته" التي أخفته في غمضة عين.

عندما دخل رستم بلاط القلعة الحديدية لم يجد أمامه سوى الحصان، فتعجب لاختفاء رستم، فصاح قائلاً "ابحثوا عن رستم في كل مكان فى القلعة، ولمن يجده ألف قطعة ذهبية".

وجرى كل الجنود والعفاريت هنا وهناك، لكنهم لم يجدوا له أثرًا. ثم قيدوا روك بحبل عند البوابة. انسل رستم من على حصانه وزحف إلى قلب القلعة الحديدية. وكان ينوى قتال بالمان الكريه، ولكن عندما يكون مستعدًا لذلك. بحث عنه في غرفة بعد الأخرى، ورأى غرفة مليئة بالجواهر وثانية مليئة بالبارود وأخرى مليئة بالرياح والدروع والسهام، ثم وجد بابًا عليه قفل به مفتاح كبير.

وعندما أدار المفتاح في القفل وجد فتاة جميلة في الغرفة معلقة من شعرها على خطاف الحائط.

خلع "طاقيته" فظهر بعد الاختفاء، وقال "أرى من مظهرك أنك ابنة ملك، دعيني أساعدك".

فك رستم قيدها وفرحت الفتاة لذلك فرحًا شديدًا، وقالت "أنا مفاز، وأنا مدينة لك، فأنا أميرة حقًا ولكنني لا أعرفكم، بقيت مقيدة هنا في هذا المكان البغيض".

"تعالي معي إذًا" قال رستم، "سأضمن لك خروجك من هنا ووصولك سالمة غانمة إلى بيت والدك، ولكن عليّ أولاً أن أقتل عدوي لأنه دعاني هنا ليقتلني حتى يصبح بطل إيران كلها".

قالت "إذًا أنت رستم، أتوسل إليك! أعدني إلى بلد والدي تركستان، خذني أنت بنفسك، وحينها سأشعر أني سأصل سالمة".

أجاب رستم "ضعي هذه "الطاقية" على رأسك واتبعيني. أنا الآن ذاهب لأبحث عن بالمان. لو حدث لي شيء، احرقي هذه الريشة واطلبي من حاميتي سيمورج أن تساعدك وستأخذك إلى مملكة والدك، وستحملك بين مخالبها كما اعتادت أن تحملني".

قالت الأميرة: "لا تتحدث عن إصابتك بأي مكروه!"، ووضعت "الطاقية" على رأسها، ثم تسللت والريشة في يدها وراء رستم في الممر المظلم إلى بلاط الرئيس.

فجأة، ظهرت مجموعة من الجنود وألقوا القبض عليه بعد أن عرفوه من معطفه المصنوع من جلد الأسد. أمسك به العفريتان يارابوش وكيبوش وسحباه حتى وصلا به إلى بالمان، الذي كان ينتظره في عرشه الأسود.

قال بالمان بتهكم "ها أنت ذا يا رستم العظيم، دعنا نتبارز وسأصبح أنا أقوى وأعظم رجل في إيران كلها".

بدأ النزال بينهما واستمر لفترة طويلة حتى ظهر القمر في السماء. كان الجنود والعفاريت يقفون في حلقة يشجعون سيدهم بالمان، ولم يكن هناك أحد ليشد من أزر رستم فيما عدا مفاز، التي لم تجرؤ أن تصدر صوتاً أو تحرك ساكناً. ولكنها عندما وجدت رستم خائر القوى من كثرة جروحه وملقى على الأرض لا يقوى على القيام، رمت ريشة سيمورج في النار التي كانت مشتعلة في أتون منصهر في البلاط، وفي الحال ظهر الطائر.

وبينما كان بالمان على وشك أن يضرب رأس رستم، أطفأت سيمورج مشاعل القلعة كلها، وصاحت بصوت مثل الرعد "من يجرؤ على مهاجمة رستم؟ رستم تحت حمايتي باسم سليمان عليه السلام، فلتتحولوا أيها الأشرار كلكم إلى أحجار، ثم رفرفت على وجه رستم بجناحيها حتى فاق من إعيائه.

خيم الصمت على القلعة حيث تحول الكل إلى أحجار. ساعد رستم الأميرة مفاز أن تمتطي حصانه الوفي، وقالت سيمورج بحنان "اذهبا إلى تركستان في سلام"، وقبل أن تطير بعيدًا أعطت رستم ريشة أخرى.

وخرج الجميع من القلعة والحصان يتبختر بحوافره على الأرض الحجرية، وكانت الأميرة تغني لرستم وهما في الطريق إلى تركستان. عندما وصلا إلى هناك أقام الملك حفلاً كبيرًا، استمر سبعة أيام وسبع ليالٍ على شرف رستم، وقبل مغادرته أمر الملك أن يُملأ فمه ذهبا. وكانت تلك إحدى مغامرات رستم، إسكندر، أو هرقل إيران القديمة.

خاتـــم الشـــاه

كان يا ما كان، هناك شاه أخذ يذرع شوارع عاصمته جيئة وذهابًا متخفيًا في ثياب درويش ليرى أحوال مدينته. كان لديه عباءة قديمة مرقعة وصندل بالٍ لدرجة أن أحدًا لم يكن ليظن أنه الشاه، ولكنه كان قد نسي أن يخلع من إصبعه خاتمًا من الياقوت الأحمر النادر، كان كلما مشي يلمع في الشمس مثل نقطة دم. وحدث أن لصا كان يسير وراء الشاه ورأى الخاتم.

قال اللص لنفسه "ها، ها! سيكون هذا الخاتم لي قبل أن يحل الظلام"، وبدأ في تعقب الشاه في الأسواق الضيقة، ولم يدعه يغيب عن ناظريه.

كان بالمدينة نوافير عديدة بها أسماك ذهبية تسبح في أحواض من الرخام، وحدث أن توقف الشاه بجانب الجامع الكبير بالقرب من إحدى النوافير ذات المياه العذبة الباردة عندما اشتدت الحرارة، ليضع يده في مائها البارد، وبينما هو يقوم بذلك وقع منه الخاتم دون أن يدري ولكن اللص لاحظ ذلك، وعندما ابتعد الشاه وضع اللص يده في الماء لكي يلتقط الخاتم، ولكنه كان قد اختفى لأن سمكة من سمكات النافورة ابتلعته.

لعن اللص حظه وصرف النظر عن خاتم الشاه، ومضى خلف رجل كان يمر ويلبس سلسلة ذهبية بها حجر من الزمرد.

عندما عاد الشاه إلى قصره أدرك أنه فقد الخاتم، ولكن لأنه كان فيلسوفًا قال لنفسه "إنها إرادة الله أن يضيع مني الخاتم، وربما تكون رسالة لكي أعرف أن لديّ

ممتلكات كثيرة. كم هي غامضة ورائعة رسائل الله!"، وذهب ليستحم ويغير ثيابه قبل أن يقابل الملكة الشاهبانو.

كان للملكة الشاهبانو أمَة تُدْعَى زهرة لها بشرة في لون التمر لأنها جاءت من أفريقيا، كانت زهرة مغرمة باللعب بسمك الشبوط في نافورة بلاط الحريم، وفي ذلك اليوم أخرجت سمكة من الماء لتربت على حراشفها. وبينما هي على وشك أن تعيدها مرة أخرى إلى الماء، قفزت قطة الملكة الفارسية وأمسكت بالسمكة. قتلت القطة السمكة وجرت عائدة إلى الملكة وهي تموء وتمسح فروها. خافت زهرة لأن عدد السمك في النافورة نقص، وكانت الملكة تقوم بعدها بنفسها كل يوم.

ما العمل الآن؟ كانت الملكة عصبية المزاج، وكثيرًا ما كانت تحذر زهرة ألا تخرج السمك من الماء حتى لا يموت. أخفت زهرة نفسها تحت خمار وأخذت وعاءً صغيرًا وذهبت إلى كبير الغلمان.

"دعني أمر يا آجا، يجب أن أذهب لأحضر بعض اللبن لمولاتي، هذا الوعاء الذي سأحضر فيه ما تريد بسرعة، وإلا عاقبتني"، قالت زهرة ذلك حيث لم يكن بوسع أحد أن يخرج أو يدخل إلى جناح الحريم بدون إذن كبير الغلمان.

"حسنًا أيتها الفتاة، أسرعي إذًا وعودي قبل الظلام وإلا ستجدين البوابة موصدة" أجاب كبير الغلمان.

جرت زهرة بأقصى سرعة ووصلت إلى النافورة حيث كانت السمكة التي ابتلعت خاتم الشاه، وبسرعة فائقة أخذت سمكة في وعاء مع قليل من الماء لإبقائها حية. عندما عادت إلى جناح الحريم كان الظلام قد أرخى سدوله وبدأ الغلام في البحث عنها.

وعندما رآها قال في غضب، "أسرعي أيتها الفتاة يجب أن أغلق الباب". كان يتكلم وهو يحدق في الوعاء والسمكة داخله.

وضعت زهرة يدها على الوعاء لتحيل بين السمكة ونظراته، وسارت على أطراف أصابعها إلى جناح الحريم، وسمعت صوت إغلاق الباب من ورائها.

وبعد أن أطلقت زفرة ارتياح، ألقت بالسمكة في نافورة الملكة الشاهبانو ليصبح عدد السمك اثنتى عشرة سمكة مرة أخرى، تسبح في المياه المتلألئة.

يا للغرابة! كانت السمكة التي أحضرتها زهرة هي تلك التي ابتلعت خاتم الشاه.

عندما استحم الشاه وارتدى ملابسه ذهب إلى جناح الحريم لينعم برفقة زوجته وبناته الثلاث، اللاتي قدمن له الحلوى والعصائر.

قالت الملكة الشاهبانو "أيها الملك الميمون أين خاتم الياقوت الجميل، بل الأجمل في كل بلاد فارس، أين الخاتم الذي أرسله والدي بمناسبة زواجنا منذ عشرين سنة؟"

قال الشاه، "هدئي من روعك يا زوجتي، لقد فقدته اليوم ولا أعلم أين، حيث كنت أتفقد أحوال الرعية متخفيا في ثياب درويش. لو أن إرادة الله أن أفقده، فمن أنا لأعترض على الإرادة الإلهية؟ ربما يكون المغزى وراء ذلك أن أدرك تفاهة الممتلكات المادية في هذا العالم".

صاحت الشاهبانو، "يا سيدي، إن تراكم الثروة في حد ذاته لا يهم، ولكنني أحب أن أرى الخاتم في إصبعك مرة أخرى، دعني أستدعي العرافة لأسألها عن مكانه".

حاول الشاه أن يجعل الملكة تعدل عن رأيها ولكنها كانت مصرة؛ لذا تنازل وسمح لها بعد أن رأى تصميمها. قالت الملكة لزهرة: "اذهبي وأحضري العرافة بسرعة، لا بد من أن أعرف أين الخاتم".

أسرعت زهرة للمجيء بالعرافة التي كانت جالسة في غرفتها تتمتم مرتدية ثوبًا طويلاً ممزقًا يصل لكعبها. كانت خصلات شعرها تشبه الأفاعي البيضاء يغطيها تاج من العملات المعدنية. وعندما استطاعت زهرة أن تلفت نظر العجوز إلى وجودها قالت، "أيتها الأم الطيبة، تعالي فورًا إلى جناح الحريم. سيدتي الشاهبانو تريد أن تعرف مكان خاتم الياقوت الذي فقده مولاي الشاه في المدينة اليوم".

جاءت العرافة إلى جناح الحريم وقدمت الحية أمام الشاه، وقبلت يد الملكة الشاهبانو. ثم وضعت أدوات سحرها على صينية أمامها وراحت تتمتم لنفسها. سألت الملكة الشاهبانو "ماذا ترين أيتها العرافة؟ أين الخاتم الذي فقده زوجي اليوم؟"

أجابت العرافة: "أرى أنه .. أرى أنه في مكان مظلم"، ونظرت إلى التعاويذ أمامها ثم أغمضت عينيها.

كررت الملكة الشاهبانو الكلام "مكان مظلم؟"، بينما كان الشاه ينظر باستغراب، "ما معنى هذا؟"

"نعم، نعم ... مكان مظلم ليس بعيدًا عن هنا، إنه ... إنه في هذه اللحظة في جناح الحريم".

صاحت الملكة الشاهبانو، "في جناح الحريم؟ يبدو أنك فقدت عقلك، لقد فقده الملك في شوارع المدينة".

"نعم يا مولاتي الكريمة، ولكنه الآن في جناح الحريم وقد أُحضر إلى هنا بعد أن فُقد".

تعجب الشاه قائلاً "مكان مظلم! هل في الخزانة مثلاً؟"

"لا يا مولاي"

"لعله في الحقيبة"

"لا يا مولاي"

"هل تحت الأرض؟"

"لا أيها الملك الميمون، ولكن الماء يحيط به من كل جانب، ها أنا أراه، ثم أصدرت صيحة انتصار قائلة "إنه في بطن سمكة".

"يا إلهي! في بطن سمكة"، صاح الشاه، "إنها أكبر مزحة سمعتها".

قالت الشاهبانو "أوضحي، كيف وصل إلى بطن السمكة أولاً؟"

وبعد برهة أخذت العرافة ترنم، "وقع خاتم سيدي في النافورة بجانب الجامع الكبير، ابتلعته سمكة وأحضرتها زهرة بدلاً من تلك التي أكلتها القطة".

أنهت العجوز حديثها وأغمضت عينيها.

صرخت الملكة الشاهبانو "زهرة! تعالي حالاً، كيف أكلت القطة إحدى السمكات؟ هل كنت تلعبين بها مرة أخرى؟ ماذا كنت تفعلين؟ قولي كل شيء الآن".

رمت زهر بنفسها تحت قدمي الشاه طالبة حمايته من غضب الملكة، وقبلت طرف ثوب الملكة وفرائصها ترتعد من الخوف، وأخبرتها بما حدث من البداية للنهاية.

أكملت زهرة وهي تنتحب "وكانت السمكة ذات الزعانف الزرقاء التي أخذتها من الحوض الرخامي بجانب الجانب الكبير، أستطيع أن أريها لكم لترحموني".

ابتسم الشاه ونظر إلى الملكة الشاهبانو وقال: "يمكن أن ندع هذه الواقعة تمر"، ثم نظر إلى الفتاة وقال "أحضري السمكة لنتأكد من وجود الخاتم بداخلها".

جرت زهرة لتنفذ ما أمر به، وبينما كانت السمكة بين يديها إذ بالخاتم يخرج من فمها ليقع على الأرض.

وبصيحة فرح التقطت الشاهبانو الخاتم ووضعته في إصبع الشاه وقالت:"حيث إن زهرة كانت الوسيلة التي جعلتنا نسترد الخاتم، فلن نعاقبها على فعلتها تلك".

وأمر الشاه بأن يملأ فم العرافة بالذهب، وذهبت لحال سبيلها وهي في قمة السعادة، ومنذ ذلك اليوم لم تمد زهرة يدها على سمك الشاهبانو مرة أخرى إلى آخر يوم في حياتها.

حكايات من بلاد العرب

حكاية حاتم الطائي

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، هناك ملك طيب كريم يعيش في شبه الجزيرة العربية يُدعَى حاتم الطائي. كان يوجد في حظائره خيول من أجود السلالات وفي خيامه سجاجيد جميلة، كما كان لديه جيش من أشجع المحاربين. تغنّى الكثيرون بأعماله في الحرب والسلام، وترددت الأغاني في أرجاء مملكته على أنغام المزامير ودقات الطبول.

عاش الجميع في زمام مملكته إخوة متحابين مثلما كانوا يحبون مِلكهم، وكان الأطفال يركضون نحوه إذا ما رأوه يمر بين خيامهم، وعندما كانوا يشبون عن الطوق كانوا يرجونه أن ينضموا إلى فيلق راكبي الجمال، الذين كانت وظيفتهم جلب الأخبار من الأقطار البعيدة إلى بلاطه.

كان الطعام يكفي الجميع والخزائن مليئة بالكنوز، والواحات غاصة بالخيرات للمسافرين والتجار، وكان أي شخص يستطيع أن يستوقف الملك وهو راكب فرسه البيضاء "جميلة"، ويطلب أي شيء. لم يكن يرد لأحد طلبًا أيًا كان. كان يحدث مثلاً أن يستوقفه متسول قائلاً "يا حاتم الطائي، أريد هبة"، يقولها وهو يجذبه من عباءته.

وكان الملك دائمًا ما يقف ويستمع ويبتسم بلطف ويلبي طلب السائل، والزائرون يفدون من كل حدب وصوب ليأكلوا على موائده، ويجلسون على

سجاجيده الثمينة، ويحدقون في أعداد رجاله المحاربين الذين لا حصر لهم ومعهم سهامهم الطويلة وخناجرهم اللامعة.

ولكن كان هناك من يشعر بالغيرة من حاتم الطائي؛ ملك آخر كانت تتماس حدود مملكته مع حدود مملكة الطائي. ذلك الملك يُدعى جليل وبعث رسوله إلى الطائي برسالة يقول فيها:

"أنا أقوى وأشجع منك يا حاتم الطائي، وأملك خيامًا ورجالاً أكثر منك؛ لذا أريد أن أضع يدي على أرضك وشعبك وكل ما تملك، أخبرني بوقت المعركة التي سنختبر فيها قدرة رجالنا، والمؤكد أن الغلبة ستكون لي، حيث إن لديَّ من الخيول والسهام أكثر مما لديك. ولن يبقى لك ذكر بعد ذلك".

في مجلس حاتم الطائي رفع الوزراء والأمراء أيديهم إلى السماء معلنين أن الكل على أهبة الاستعداد للموت في سبيل الحفاظ عليه وعلى عائلته مهما كلفهم الأمر، وسمع المحاربون واحتشدوا حول خيمته يطلبون معرفة ميعاد المعركة.

ولكن حاتم الطائي فكر لبضع دقائق ثم هز رأسه وقال: "إخواني! هذه ليست حرب، لن أسمح بإراقة دماء بريئة على أسباب تافهة حتى لو كانت حياتي. سأختفي في الجبال وحينها يستطيع الغازي أن يدخل أرضي بدون سفك دماء. لن أسمح بأن تعانوا أنتم أو بأن يُيَتَّم أولادكم من بعدكم، لأن حياتي مبتغى الملك الجليل. لن يفعل شيئًا سوى أن يأتي إلى هنا ويجلس مكاني في الخيمة، وهذا ما سأتنازل عنه له بكل ترحاب. أستطيع العيش درويشًا، أو ابن سبيل، بعيدًا عن قيود وزخرف هذا البلاط كما فعل الكثيرون من قبلي".

وبعد أن أخذ معه بعض البلح والمكسرات في جعبة صغيرة، وَدّعَ أسرته ومضى.

دخل الملك جليل غازيًا على أصوات النفير ودقات الطبول، واستولى على مملكة حاتم الطائي.

بحث الملك جليل عن حاتم الطائي في كل مكان ولكنه لم يجد له أثرًا. لم يخنه أي رجل أو امرأة، لم يخبر أحد عن مكانه. كان الكثيرون يمرون عليه ويمدونه بالطعام ويقدمون له المساعدة بكل الوسائل.

وفي البلاط كان الملك جليل يجلس مختالاً بين مستشاريه مزهوًا بانتصاره، ويقول "يا رجال العرب، لقد أخذت هذه الأرض ولم يرفع أي شخص يده أمامي، بدون إراقة قطرة دم واحدة، ولم يجرؤ ذلك الجبان حاتم الطائي على أن يريني وجهه، أنا على يقين من أنه ما زال مختبئًا وما زال يجري"، ثم يضحك ومن حوله أتباعه يهللون ويصفقون له.

كان أحد مستشاري حاتم الطائي يبدو بائسًا، فقال الملك جليل موجهًا حديثه له: "وأنت أيها الحكيم، ماذا تقول عن جبن ملككم الراحل الذي تصرف كالنساء؟"، تكلم الرجل بشجاعة وبصوت عالٍ قائلاً: "ملكنا حاتم الطائي أكثر الرجال كرمًا في العالم، طلب منا ألا نحارب وأن ندعك تدخل أرضه بدون مقاومة حقنًا لدمائنا، ورحل بعيدًا كي يتيح لنا هذه الفرصة، ولكنني أشعر بخسارة فادحة".

لم يستغرب الملك الجديد الرد. هكذا كان حاتم الطائي يقدم فعلاً كريمًا جديدًا؛ ولذا نال احترام الناس أكثر من ملكهم الجديد. كانت الحكايات عن أعمال حاتم الطائي ما زالت تروى ويتداولها الناس، وأخبره جواسيسه أن الناس لا يقولون شيئًا طيبًا عن الملك الجديد.

ولكن كيف له أن يقبض على قلوب رعاياه؟ ونال منه الغضب حتى أعلن أن من يستطيع الإمساك بحاتم الطائي والإتيان به، سيحصل على أكياس عديدة من الذهب.

ولكن هذا الإعلان جعل رعايا حاتم الطائي المخلصين أكثر تصميمًا على حمايته من ذلك الطاغية، ولم يستطع أحد أن يعثر عليه.

وذات يوم وعندما كان رجل وزوجته يجمعان الحطب بجانب مخبأ الملك الهارب، بدآ يتجاذبان أطراف الحديث. لم يستطع حاتم الطائي الحَذِر مقاومة الاستماع إليهما.

"ما أصعب هذه الحياة" قال الرجل العجوز، "الملك الجديد يحملنا الكثير، إنه يأخذ منا الكثير من الضرائب ويأخذ الصبية في جيشه، يبدو أنه لا يوجد الكثير من الحطب هنا، ماذا نفعل عندما ينفد الحطب؟"، أجابت زوجته السليطة "ابحث عن حاتم الطائي واحصل على أكياس الذهب، سمعت أنهم أزادوا المكافأة اليوم، ولم لا، ونحن نستطيع العيش في راحة حتى آخر أيامنا لو أننا سلمناه لهم؟".

في تلك اللحظة ظهر حاتم الطائي أمامهما، وقال "لكما ما تتمنيان، خذاني للملك وقدماني له بلا تردد".

صاح الرجل العجوز "أيها الكريم حاتم الطائي، أبدًا ولو بعد مليون سنة، حتى لو أغوتني حوريات الجنة لن أخونك أو أغدر بك. زوجتي عجوز حمقاء، سامحها يا حاتم الطيب".

وبينما كانوا يتحدثون جاء العديد من جنود الملك جليل وألقوا القبض عليهم جميعًا. وقفوا أمام الملك، وقال حاتم الطائي: "أيها الملك العظيم، أعطِ هذا الرجل مكافأة اكتشاف مكاني لأنه هو الذي قام بذلك".

ورغم خوفه وتوجسه قال العجوز: "إن حاتم الطائي هو من قدم نفسه له حتى يكونا مرتاحين إلى نهاية حياتهما".

دهش الملك جليل أيما دهشة لهذا الكرم وقرر أن يفعل شيئًا مماثلاً؛ سمح لحاتم الطائي بالعودة إلى خيمته الملكية وعانقه كأخ، وعاد هو إلى أرضه ومعه جنوده مع وعد بالعيش مع جيرانه في سلام طيلة حياته. وعاش حاتم الطائي كذلك في سلام حتى انتقل إلى رحمة الله.

الأميرة والوزير والقرد

كان يا ما كان في سالف الزمان ابنة لأحد ملوك بلاد العرب اسمها الأميرة كلثوم، وكانت تحب أميرًا في مملكة مجاورة، ولكن رئيس الوزراء في بلاط والدها قد أحبها. لم يكن الملك على علم بذلك وكان دائمًا ما يتمنى أن تتزوج ابنته من ملك مدينة أخرى؛ ولكن رئيس الوزراء أصبح متيمًا بالأميرة ولم يشغل باله شيء سوى أن يتزوجها.

وبعد تفكير عميق دبر خطة قاسية؛ ذهب إلى الملك وقال "لقد نظرت طالع الأميرة ورأيت أنه مليء بأنباء مفزعة".

"وكيف ذلك؟"، سأله الملك.

قال الوزير "من خلال وضع الكواكب والأبراج وقت ميلادها، أرى أنها إذا ما تزوجت فستحدث مأساة".

"أوضح أكثر"، قال الملك.

"لو رزقت الأميرة بأطفال، سيكونون سبب وفاة جلالتك"، قال الوزير.

صُعِق الملك من هول المفاجأة وسأل الوزير:"ماذا أفعل إذًا؟"

قال الوزير: "أقترح طريقة للتخلص من الأميرة، نضعها في صندوق كبير ومعها مجوهراتها ونضع الصندوق في النهر، وسوف يشملها الله برحمته".

وافق الملك وأمر بصنع صندوق لم يُر مثله من قبل؛ لتوضع فيه الأميرة ومجوهراتها.

في الوقت نفسه كانت مربية الأميرة العجوز قد سمعت الملك والوزير وأخبرت الأميرة بالقصة كلها. في الحال، قامت الأميرة بكتابة رسالة للأمير الذي يحبها أخبرته فيها بالخطة كلها. كان الأمير في رحلة صيد وصقره على ساعده عندما جاءه الرسول، وبمجرد أن قرأ الرسالة ترك كل شيء وراح يفكر كيف ينقذها.

نادى كل الخدم وأعطاهم الأوامر. كتب رسالة للأميرة يقول لها "لا تخافي، دعيهم يضعونك في الصندوق، سأنقذك بمشيئة الله".

أخذ الملك والوزير الأميرة بعد أن أعطياها جرعة من عقار سحري جعلتها تنام، ووضعاها في الصندوق مع مجوهراتها. بعد دقائق كان الصندوق الخشبي ذو النقوش البديعة وبداخله الأميرة طافيًا على سطح النهر في طريقه للبحر، ولكن بعد مسافة معينة عثر خدم الأمير على الصندوق وسحبوه إلى الشاطئ بشباك الصيد. حمل الأمير وخدمه الصندوق وبه المجوهرات والأميرة النائمة إلى كهف، ووضع الأمير وخدمه قردًا قبيحًا محل الأميرة وأعادوه مرة أخرى إلى النهر.

في تلك الأثناء كان الوزير وخدمه ينتظرون وصول الصندوق عند منعطف النهر. أخرجوا الصندوق على ضفة النهر. قال لهم الوزير "خذوه إلى مخبئه السري ولا تفتحوه". كان يظن أن الأميرة قد أصبحت بحوزته الآن وأنه سيخضعها لإرادته. حمل الخدم الصندوق لبيت الوزير في الجبال، بينما ذهب هو بنفسه إلى الملك ليخبره أنه سيغيب لبضعة أيام لشأن عائلي.

وبينما كانت الأميرة تشد الرحال إلى بيتها الجديد في محفتها الحريرية، كان الوزير يقترب من الصندوق بفرحة غامرة.

قال الوزير في سعادة: "آه أيتها الأميرة الجميلة هلمي إليَّ، لنبدأ رحلة سعادتنا إلى الأبد".

فتح الصندوق ليخرج منه قرد قبيح مثير للاشمئزاز بدلاً من الأميرة الجميلة كلثوم، "رحمتك يا رب! رحمتك يا رب!"، صاح الوزير "ما السحر الذي استخدم هنا؟ من كان يظن أن وضع الأميرة في صندوق وإلقائه في النهر سيحولها إلى هذا المخلوق الكريه؟"

كان الوزير على علم بوجود العديد من السحرة المهرة في البلاط وكانوا أعداءً له، فظن أن واحدًا منهم الفاعل، أرسل في طلب فاكهة وأطعم القرد الذي كان ودودًا ويبدو عليه أنه يفهم كل ما كان يقوله الوزير.

قال الوزير: "أيتها الأميرة سأرعاك وأحميك هنا، وسأعتني بك بالطريقة التي تليق بمقامك حتى تعودين لصورتك البشرية".

تخلى عن منصبه في البلاط ليرعى القرد، وينتظر مرور الوقت حتى تعود الأميرة كما كانت.

في المملكة المجاورة كانت الاستعدادات لحفل زفاف الأمير والأميرة تتم بفرحة غامرة. بعثت الأميرة برسالة إلى والدها تخبره بالخطة وبالنهاية السعيدة. وعاش الكل في سعادة وهناء، ما عدا الوزير بالطبع.

الأخ الأصم والأخ الأعمى

كان يا ما كان في سالف الزمان هناك أخان الأول يدعى وحيد والثاني رعوف. كان وحيد أعمى ورعوف أصم، وفي يوم من الأيام ذهبا إلى حفل كبير وبعد انتهاء الحفل بدآ رحلة العودة للبيت.

قال الأعمى: "كان الرقص سيئًا".

قال الأصم: "والموسيقى كذلك".

استمرا في سيرهما في الشمس الحارقة فترة ثم فجأة، في منطقة مهجورة، قابلا حمارًا. كان الحمار ينهق في سعادة لأنه وجد سيدًا جديدًا، حيث إن سيده القديم قد كبر في السن ومات في مكان ما في البرية، وظل الحمار يجول وحيدًا لبضعة أيام.

كانوا جميعًا يسيرون الهوينى إلى أن اصطدم وحيد الأعمى بكتلة ضخمة أصابت إصبع قدمه، فصرخ من الألم.

"آه! آخ! ،ما هذا؟"

صاح رعوف الأصم في وجهه: "إنه قبر قديم عليه جرادتان يا أخي، هيا نربطهما في طرف منديلي، من يدري؟ لعلنا نستفيد منهما لاحقًا؟"

وهكذا انطلقتا الجرادتان والحمار والأخوان نحو قريتهما. فجأة هبت عاصفة ممطرة، وبدأ الرعد يصدر أصواتًا مثل أصوات صناديق كنوز الملك سليمان وهي تصلصل في جبل قاف، الذي يعتقد العرب أنه يلتف حول الأرض، وبدأ البرق يومض كما لو أنه لم يومض من قبل.

"آه! البرق ليس بهذا السوء ولكن الرعد مخيف"، قال الأعمى.

بحثوا عن ملجأ ووجدوا بناية محطمة كانت خانًا من قبل، دخلوا وأغلقوا الغرفة الوحيدة التي كانت لا تزال موجودة في الخان كله، وفجأة ظهرت لهم سبعة كائنات سحرية تشبه الغول تضرب على الباب بكل قوتها وتطلب الاحتماء من العاصفة. لم يكن الأصم خائفًا لأنه لم يكن يسمع سوى القليل. تقدم الأعمى من الباب وصاح: "من أنتم حتى تزعجوا المسافرين المحترمين في هذه الساعة؟"

"نحن الكائنات الخرافية السبعة"

زأروا كلهم في صوت واحد وضربوا الباب بكل قوتهم: "أي نوع من الناس أنت؟ دعنا نرى وجهك".

فتح الأعمى الباب فتحة ضيقة أبرز منها وجه الحمار، ووضع إحدى الجرادتين في أذن الحمار اليسرى والأخرى في اليمنى. عضت الجرادتان أذني الحمار، الذي بدأ النهيق من فوره بصوت مخيف كما لو أن أسدًا هاجمه.

ارتفع صوته ليصل إلى عنان السماء فتراجعت الوحوش للخلف في رعب عائدة خوفًا من ذلك الحيوان العجيب. أمضى الأخوان ليلة سعيدة بعد أن أخرجا الجرادتين من أذني الحمار، وقاما بشيهما على النار وجبةً هنية لهما بعد عناء السفر.

عندما استيقظا في الصباح فوجئا بأن الأرض كانت مفروشة بقطع الذهب والمجوهرات الثمينة. فراحا يجمعان كل ما له قيمة، وقسماه في كومتين ربطاهما بغطاء رأسيهما ثم ركبا الحمار وكل منهما يحمل نصيبه أمامه.

"سنعود أغنياء ونصبح شيوخا لدينا إبل كثيرة"، قال الأعمى وهو يصيح في أذن الأصم.

ولكن أخاه الذي كان يفكر في سرقته راح يدبر خطته لسرقة كنز أخيه، الذي أصابه مس من الجنون مع ظهور ذلك الكنز.

في تلك الأثناء، لم تكن الوحوش بعيدة عنهما؛ لأنها كانت تحلم بأكل اللحم البشري وتستطيع اقتفاء أثر حوافر الحمار في الأرض الرملية بسهولة. بمجرد أن رآهم الأصم، أنزل أخاه من على الحمار، ورمى بالكنز بين الشجيرات بالقرب من الحمار، وبدأ في تسلق شجرة كبيرة.

ثم قال لأخيه "تعال يا أخي بسرعة: تسلق هذه الشجرة، الوحوش"، وبسرعة تسلقا معًا حتى وصلا إلى أعلى الفروع، ولكن الوحوش كانت ذكية فتسلقوا أكتاف بعضهم البعض ووصلوا إلى أعلى الشجرة، وبينما كانوا يحاولون الإمساك بالشجرة حاول أعلى وحش فيهم الإمساك بالرجلين.

امتلأ قلب الأصم رعبًا عندما رأى الوحوش، ولكن الأعمى الذي لم يكن يشعر بأي خوف كان يجلس في سعادة على فرع الشجرة، وهو يظن أنه في مأمن. فجأة دفعه أخوه فسقط على رأس أعلى وحش فيهم.

بدأ الحمار في النهيق وبدأ الأخ الأصم ينتحب وهو يظن أن وحيدًا سيقطع إربًا، ولكن ما حدث أن الأعمى – الذي كان هادئًا تمامًا – قد دفع بالوحوش ولم يحركوا ساكنًا تحت الشجرة، ولم يصب وحيد بأي أذى. نزل الأصم من أعلى الشجرة والتقط الكنز من بين الشجيرات، وانطلقا على الحمار بأقصى سرعة.

سارا لفترة طويلة حتى وصلا إلى حدود قريتهما، ثم قال وحيد: "دعني أتحسس صرتي. فلا أظن أنها كبيرة مثل صرتك".

"لا" أجاب الأصم، "إنهما بنفس الحجم والوزن".

قال الأعمى وهو يترجل من على ظهر الحمار: "لا، دعني أتحسسها الآن".

بدآ يتشاجران. كان رءوف يحاول أن يحصل على جزء من كنز أخيه الأعمى، لكن الصرتين فتحتا فوقع الذهب والمجوهرات على الأرض. بكى وحيد وراح يضرب أخاه على أذنه وهو يسبه ويلعنه، وبدأ رءوف يصرخ قائلاً: "إنني أسمعك أيها الأحمق الشرير، يا ابن الكلب، خذ هذه!" وضربه ضربة قوية على رأسه. هز وحيد رأسه مرة أو مرتين وبدأ في القفز عاليًا وهو يصيح في سعادة، "أستطيع أن أراك وأرى الكنز، وأرى الحمار، فليباركك الله يا أخي، هيا نتصالح ونقتسم الكنز بالتساوي ونعود إلى القرية أغنياء سعداء".

"الحمد لله"، قالها رءوف وهو يجمع نصيبه. "أستطيع أن أسمع، أستطيع أن أسمع نباح الكلاب في القرية، هيا نقيم وليمة لأهل القرية لم يروا مثلها من قبل".

وذهبا معًا وتزوجا من أجمل بنات القرية، وعاشا في سعادة وهناء.

رسول السلطان والنمر

كان يا ما كان هناك خليفة يتناول الطعام في ليلة من الليالي مع رجال بلاطه، وكان من بين حضور الوليمة رسول سلطان زنجبار، الذي طلب الإذن من الخليفة بالعودة لبلده في اليوم التالي.

قال السلطان بكرم بالغ: "بالطبع، اذهب رافقتك السلامة، ولكن لا تنسَ أن تأخذ هديتنا للسلطان وتوصلها إليه مع خالص مودتنا الأخوية".

سأل الرسول وهو خائف بعض الشيء من هذه الهدية "هدية؛ ما الهدية أيها الخليفة الميمون؟"، كان الخليفة ذا طبيعة تميل إلى السخرية اللاذعة؛ لذا خشي الرسول أن تكون الهدية كبيرة جدًا، أو قزمًا من أكلة لحوم البشر.

"بالطبع إنه نمري المدرب الجميل الطباع" ضحك الخليفة وصفق بيديه لصياديه، جاء الصياد ومعه نمر رشيق جميل في سلسلة ذهبية، وسلمه لرسول زنجبار حسب أوامر الخليفة.

قال الرسول بضيق: "بالنيابة عن سيدي أشكرك ألف شكر أيها الخليفة، وأتمنى لك العمر المديد".

أخذ السلسلة وسار بالنمر إلى غرفته. كان النمر يبدو طيعًا سهل الانقياد، ولا يبدو عليه أنه يمانع في أن يقتاده شخص آخر غير سيده.

كان الرسول، ويدعى بلال، يدعو الله أن يبقى النمر هادئ الطبع طوال الرحلة.

انطلقا في اليوم التالي مسافرين طوال اليوم واليوم الذي يليه، وفي اليوم الثالث وجد أنهما ليسا بعيدين عن فندق صغير بجانب الطريق يخلد فيه المسافرون للراحة. كان بلال يقود النمر ويشعر بالإرهاق وقدماه تؤلمانه، عندما قابل القائم على الفندق يمشي بين ردهاته..

قال بلال: "يوم سعيد يا أخي، أود أن أرتاح هنا بعد سفر ثلاثة أيام برفقة هذا النمر. هل لديك سرير جاهز حتى أرتاح الليلة وآخذ قسطًا من النوم قبل أن أستأنف الرحلة غدًا؟"

أجاب صاحب الفندق "على الرحب والسعة يا صديقي العزيز، ولكن أرجوك ألا تأخذ النمر معك لأنه سيخيف المقيمين هنا في الفندق، وقد يقتل الماعز والدجاج وهي مؤونتهم في الطريق. إذا كنت تريد سريرًا الليلة فعليك أن تتخلص من النمر".

قال بلال: "ولكن هذا الحيوان الرائع هدية من الخليفة لسيدي سلطان زنجبار، لا أستطيع أن أتخلص منه كما تقول. لو بعث الخليفة برسالة للسلطان يسأل عن أحوال النمر وعرف أنني قتلته بدلاً من تسليمه لجلالته، فسيأمر بقتلي قبل حتى أن يعرف ما حدث".

أومأ صاحب الفندق برأسه: "آه! ولكنني لا أستطيع أن أبقي هذا النمر هنا بجانب المقيمين في الفندق، على أية حال بدلاً من أن تنام في العراء وتتعرض لمخاطر الذئاب واللصوص يمكن أن تنام في منزل صغير أملكه خارج البلد. لسوء الحظ أن المنزل كان مسكونًا من قِبَل جني شرير لا يدع من يعيش فيه يهنأ بالسلام والراحة. كان دائمًا يصدر أصوات قعقعة وصلصلة وتكسير ونقل أثاث، بحيث

أصبح من المستحيل أن يعيش هنا أي شخص. إذا ذهبت إلى هناك يجب ألا تلتفت إلى الجني، كما يمكنني أن أقول إنه لن يلتفت إلى النمر".

شكر بلال الرجل الذي أرشده إلى البيت.

"لعل الجني ليس في المنزل هذه الليلة" كان بلال يفكر وهو يُدخِل النمر إلى البيت ويرفع المزلاج. كان البيت نظيفًا وكان هناك القليل من الأطباق المكسورة على المائدة. ولأن بلال كان متعبًا ألقى بنفسه على السرير وترك النمر يقفز على الغطاء بجانبه. أحكم إغلاق السلسلة وربطها في أحد أعمدة السرير وسرعان ما غط الاثنان في سبات عميق. مع ظهور القمر بدأت البوم في النعيق، فُتح باب المنزل وظهر الجني، الذي أخذ يضحك بصوت صاخب لدرجة أن الأرض كانت تهتز تحت قدميه الضخمتين، ثم بدأ الجني يأكل ماعزًا كان قد سلخها من قبل. كل ذلك جعل بلال يستيقظ من نومه. كان وجه الجني يشبه الثعبان، قبيحًا كشيطان وله أسنان بارزة وكأنها أنياب، نظر إليه في رعب وهو يمضغ قطعًا من لحم الماعز ويمزقها بمخالبه. لم يكن بلال يصدق عينيه وهو يرتقب ما يراه أمامه.

فجأة استيقظ النمر وقفز من السرير، وسُمع صوت صلصة سلسلته الذهبية وكانت عيناه تلمعان من الغضب.

قال الجني: "ها، ها، ها، ما هذه القطة المرقطة وما الذي تفعله هنا؟"

النمر الذي كان هادئا طوال الرحلة مع الرسول بدأ في مجرة وهو يكشر عن أنيابه بطريقة مخيفة. ثم بدأت معركة شرسة.

نظر بلال في رعب في كل اتجاه بين الكراسي والمناضد، وكان الجني والنمر يعضان ويهجمان على بعضهما بالمخالب مصدرين أصوات زمجرة وزئير

مرعبة حقا. فى لحظة يكون الجني فوق النمر، ثم ينقلب الحال ليعلو النمر الجني. اختبأ بلال في خزانة، وأخذ يختلس النظر، وبدا من الواضح أن الجني قد نال كفايته، ثم رأى بلال النمر وهو يضرب الجني ضربة هائلة وقع على أثرها داخل المدخنة ولم يعد له أثر.

صاح بلال: "أيها النمر الشجاع أنت بحق صديق طيب"، قال وهو يقود النمر من يده إلى السرير حيث ناما ليلتهما في هدوء وسلام.

وفي الصباح الباكر كان صاحب الفندق على الباب ومعه بعض الحليب والخبز، وهو يتسائل عما حدث بالأمس.

قال بلال وهو يتقاسم الحليب والخبز مع النمر الذي كان سعيدًا وهو يغسل وجهه وأرجله بأشعة الشمس، "شكرًا لك يا أخي على إعطائنا هذا المأوى".

وسأل صاحب الفندق في دهشة "ولكن ماذا عن الجني؟ ألم يظهر لكما ذلك الكائن الشرير ليلة أمس؟"

أجاب الرسول بمرح، "بالتأكيد يا أخي، ولكن هذا النمر الرائع سرعان ما تخلص من ذلك الشيطان. دارت هنا معركة حامية الوطيس ولكن الجني هرب من المدخنة. لا أرى داعيًا لأن تقلق مرة أخرى".

قال صاحب الفندق: "شكرًا جزيلاً لك يا أخي، خذ بقية الطعام والشراب للمرحلة التالية من رحلتك. أطال الله في عمرك".

اقتاد بلال النمر من سلسلته الذهبية ودعوات الرجل ترن في أذنيه.

مع قدوم الليل وصلا إلى أحد الكهوف، واتخذا منه مأوى يحتميان فيه ببعضهما ويلتمسان الدفء. في منتصف الليل استيقظ بلال ليرى الجني على مدخل الكهف.

زأر الجني "لقد تعقبتكما إلى هنا بفضل المقدرة التي منحني إياها سليمان ابن داوود عليهما السلام. اخرجا لأبتلعكما عقابًا لقطتك المرقطة التي دفعتني خارج بيتي، الذي طالما نعمت فيه بالراحة".

قبل أن ينهي الجني كلامه، استيقظ النمر وقفز على الجني لدرجة جعلت من الصعوبة على بلال التحكم في السلسلة؛ لذا تركها ورأى النمر وهو يهجم على الجني وكأنه قطعة جلد قديمة، ويهزه كما يهز الكلب خرقة بالية. ثم هوى الجني هاربًا من الألم وهو يعوي، بينما كان النمر سعيدًا وهو يعود إلى بلال.

قال بلال "أيها النمر الشجاع ، كيف لي أن أشكرك على ما فعلت؟"

ثم راح الاثنان في سبات عميق.

وفي اليوم التالي بدآ الرحلة، وأخيرًا وصلا إلى جزيرة زنجبار التي تفوح منها رائحة التوابل. وعندما دخل المركب إلى المرفأ، حيا الناس الرسول ومعه النمر ذو السلسلة الذهبية. بكى بلال وهو لا يصدق أنه وصل إلى أهله وبلده بعد كل تلك الفترة التي قضاها بعيدًا عنها، ورغم أنه كان حزينًا لفراق النمر أخذه ليقدمه للسلطان.

عندما رأى النبلاء الحيوان تراجعوا للوراء بينما بقي البعض جالسًا، ولكن النمر استمر في سيره بجانب بلال وهو ينظر إليهم.

قال بلال وهو ينحني أمام العرش: "أيها السلطان العظيم، من خليفة الألف شمس، هذا النمر النادر هدية إجلالاً لك ولقدرك".

رفع السلطان صوته عاليًا وهو يبرم شاربه ويقول "ماذا؟ حيوان متوحش كأنه حيوان أليف؟ لا! أثناء فترة غيابك بعث ملك أثيوبيا أسدين ليكونا حارسين لي وهما على وفاق مع بعضهما. لو أدخلت هذا النمر إلى البلاط، فمن المؤكد أن تدور المعارك بينها ويتطاير الفراء".

أثناء كلامه دخل الأسدان يسحبهما ولدان أسودان صغيران كل من سلسلته. بدأ النمر يهز ذيله مصدرًا أصواتًا كالحفيف وعيناه تلمعان. كان على بلال أن يستجمع كل قوته ليتمكن من كبح جماح النمر، الذي بدأ في الزئير في غضب عند رؤية الأسدين.

قال السلطان بسرعة "يا بلال! خذ هذا النمر هدية مني على أداء مهمتك بنجاح في بلاد الخليفة، ولكن أخرج الحيوان من هنا قبل أن تكون مشكلة في البلاط".

أسرع بلال وهو لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه وأخذ النمر عائدًا إلى بيته. استحم وغير ثيابه وجلس على الأريكة، وأحضر له الخدم الأرز بالبهارات مع كرات اللحم ليأكل. وجلس النمر المرقط الجميل تحت قدميه بكل الإخلاص والحب في سلام تام.

قال بلال في سعادة وهو يجفف يديه بعد أن فرغ من الأكل، "عزيزي النمر أشكر الله على أن سلطاننا المبجل رأى أن يعطيني إياك، فبعد كل تلك المغامرات لا أطلب رفيقًا أفضل منك".

قال النمر "آه أيها السيد الرائع، يسعد قلبي سماع حكايتك، لأنها ستحررني من أسري. أنا لست نمرًا بل أميرة سحرها ساحر شرير عندما كنت في السابعة عشر في بيت والدي في طشقند. قل إنك حر وعلى استعداد أن تتزوجني وسأتحول إلى امرأة مرة أخرى أمام عينيك".

صاح بلال، "فليباركك الله، ما هذا الذي أسمعه؟ بالطبع أنا حر وأنا أريد أن أتزوجك وأحررك من هذا السحر، وسنحتفل بزفافنا الليلة".

في الحال تحول النمر إلى امرأة جميلة ذات شعر أسود طويل وعينين لوزيتين وفستان من الحرير يصل حتى الكاحلين، وحول وسطها حزام مرصع بالأحجار الكريمة وعلى رأسها غطاء رأس مرصع بالجواهر.

وقع بلال في غرامها في الحال وتزوجا في سعادة وهناء، ورزقهما الله بالذرية الصالحة، وهكذا عاش بلال مع أميرة طشقند في سعادة حتى نهاية حياتهما.

الغـــزالة الوفيـــة

كان يا ما كان هناك شحاذ فقير يُدعى مصطفى ينام أمام فرن في مطبخ رجل غني. ذات صباح أيقظه صياح بائع يقول "غزال، غزال، اشتروا غزالي الرائع".

قال الشحاذ "الجميع نائمون الآن في البيت، توقف عن الجلبة وتعال في وقت أفضل من هذا".

أجاب بائع الغزال الذي كان معه العديد من تلك الحيوانات البائسة على عربة يجرها حمار: "هل تريد أن تشتري إحدى غزلاني".

قال الشحاذ "لديَّ عملتان نحاسيتان فقط، ماذا أفعل بغزالة على أية حال؟"، وكان قد نزل من على الفرن ليتكلم مع البائع.

وفي تلك الأثناء أطلت إحدى تلك الحيوانات برأسها من القفص، وقالت للشحاذ بصوت منخفض "اشترِ ولن تندم".

تعجب مصطفى حتى أنه قال للبائع "هذا كل ما أملك ... ثلاث عملات نحاسية، هل تكفي لشراء الغزالة التي تطل برأسها من القفص؟"

"هي لك... فليباركك الله" قال البائع وهو يخلي سبيل الغزالة من محبسها، وأكمل "هي لك بغض النظر عما أعطيتني"، وأغلق القفص مرة أخرى وتناول العملات من مصطفى وذهب في طريقه إلى أقرب مقهى.

قال مصطفى للغزالة "حسنًا ماذا الآن؟ لقد اشتريتك وليس معي نقود، لا بد من أن أذهب للتسول مرة أخرى على سلالم المسجد وقت الصلاة".

أجابت الغزالة "لن تندم على شرائي، سأجمع لك كنزك".

صاح مصطفى "وكيف ذلك؟ وما عساي أفعل فيما بعد؟"

قالت الغزالة "لا شيء، كل ما عليك أن تجلس هنا حتى عودتي".

هرش الشحاذ الممزق الثياب رأسه وفكر أنه ربما لن يرى ذلك الحيوان البائس مرة أخرى. كيف سمح لنفسه بشراء غزالة تتكلم ويضحي بثلاث عملات؟ ربما تكون مسحورة وتعود عليه بالنحس.

وبينما هو يفكر عاد للجلوس على الفرن إلى أن يستيقظ خدم الرجل الثري، فلربما يلقون إليه بعض الطعام.

وفي تلك الأثناء جرت الغزالة حتى وصلت إلى بيت أمير نبيل. انحنت أمامه قائلة "أيها الأمير... بارك الله فيك، أنا أَمَة تاجر نبيل عظيم هاجم اللصوص قافلته وسرقوها. هل لك أن ترسل إليه بعض الملابس كي لا يضطر أن يأتي لزيارتك وهو عارٍ تمامًا؟"

قال الأمير الكريم "بالطبع أيتها الغزالة الطيبة. سيعطيك الخدم قميصًا أبيض من الكتان وعباءة من أجواد أنواع الصوف. خذيها لسيدك، وعندما يفيق من صدمته أخبريه بأن يأتي إلى بيتي، سوف أشوي خروفًا على شرفه".

شكرت الغزالة الأمير وقالت "معي هذه الزمردة، خذها مقابل الملابس لأن سيدي لا يقبل إحسانًا"، ثم وضعت زمردة لا تشوبها شائبة تحت قدمي الأمير

وعادت أدراجها حاملة الملابس على ظهرها. فرح الأمير بالهدية وعزم على تزويج ابنته له إذا جاءه يومًا ما، إذ كان يبدو أنه رجل ذو ثروة كبيرة.

رجعت الغزالة إلى مصطفى وقالت: "انظر! لقد جلبت لك هذه الملابس من أمير غني، انزع عنك تلك الملابس الرثة واستحم في النهر وارتدِ هذه الملابس الرائعة".

دُهش الشحاذ وقال "من أين لك بتلك الملابس؟ لم أرَ في حياتي أجمل منها!"

قالت الغزالة "افعل ما أمليه عليك، وسأجد لك زوجة غنية أيضًا. ألم تعطني حريتي عند شرائك إياي من الرجل الذي حبسني في القفص؟"

وتحول الشحاذ بعد ارتداء الملابس الجديدة إلى رجل يليق به أن يجلس في بلاط ملكي دون خجل.

ثم قالت الغزالة وهي تسير باتجاه مبنى مهدم، "والآن اتبعني، انظر تحت كتلة الآجر الثالثة، ناحية اليسار وسترى كنزًا".

عندما أزاح مصطفى الطوبة رأى بالفعل بريق الذهب والأحجار الثمينة أسفل تجويف، ملأ جيوبه عن آخرها وهو يقول "ما هذا الحظ السعيد، لن أحتاج إلى شيء طيلة حياتي".

أجابت الغزالة "ما بالك إذا تزوجت من عائلة الأمير، اشترِ حصانًا وحذاءً وهيا بنا نذهب إلى بيت الأمير".

وبعد ساعة كان مصطفى يعتلي حصانًا أبيض جميلاً والغزالة تعدو أمامه. وسرعان ما وصلا إلى بيت عالٍ له شرفات كثيرة، وتحيط به حديقة جميلة.

قالت الغزالة "انتظر هنا حتى أعود إليك. تذكر! أنت الآن تاجر غني استولى اللصوص على قافلته".

"نعم، نعم، سأبقى هنا حتى عودتك".

سارت الغزالة في الحديقة حتى وصلت إلى الأمير، ووضعت ياقوتة تحت قدميه قائلة "سيدي النبيل مصطفى يبعث تحياته ويطلب لقاءك حتى يشكرك لوقوفك بجانبه في محنته الأخيرة، وهذه الياقوتة تعبير عن احترامه لك".

أجاب الأمير "أيتها الغزالة الرائعة، أسرعي في طلب سيدك فأنا مشتاق لرؤيته لأنني من الآن فصاعدًا اعتبره زوج ابنتي".

عادت الغزالة إلى مصطفى وروت له ما قاله الأمير، وسرعان ما أصبح الذي كان شحاذًا ذات يوم يجلس مع الأمير المحترم؛ يحتسيان الشاي كالأصدقاء. مع قدوم الليل وبعد شي الخروف وأكله كان الوقت قد حان لفتح موضوع الزواج.

قال الأمير وهو يضع كفه على ذراع مصطفى "يا بني، أنا سعيد أن ابنتي لم تتزوج إلى الآن، حتى تأتي أنت؛ لأنني لا أظن أن هناك من هو أنسب منك ليتزوجها. سأعد لطقوس احتفال الزواج غدًا وستأتي إليك مع خدمها ومهرها". فرح الرجل الذي كان شحاذًا ذات يوم بهذا الكلام، وشكر طالعه على حظه السعيد.

في يوم الزفاف هنأه جميع أفراد الأسرة، الذين قدموا الهدايا للزوجين السعيدين، واستمر حفل الزفاف لساعات طويلة إلى أن ذهبا إلى غرفة نومهما ذات السجاجيد النادرة والمصابيح النحاسية المزينة بالمرجان، وجلست الغزالة عند عتبة الباب تحرسهما.

مرت الشهور واضطر الأمير للقيام برحلة فأعطى ابنته وزوجها البيت الكبير ليقيما فيه حتى عودته. كان بالبيت نوافير ذات مياه متلألئة وساحات مكسوة بالقرميد الأزرق وشرفات ذات خشب محفور، وغرف واسعة ذات عواميد ملونة. ملأ الغرور مصطفى شيئًا فشيئًا، ونسي وعده للغزالة، وكان يمضي وقته في لعب النرد مع أصدقائه.

ذات يوم ذهبت الغزالة إلى سيدتها وقالت "سيدتي! هل لك أن تسألي سيدي إن كان في استطاعته أن يعطيني سلطانية من خثارة اللبن والعسل، يصنعها بيديه لأنني أشعر بالتعب وبأني على وشك الموت".

ذهبت الزوجة إليه وقالت "ليباركك الله يا زوجي، من فضلك أعطِ الغزالة سلطانية من خثارة اللبن والعسل تعدها بنفسك؛ لأنها تشعر بالتعب وتحس بدنو أجلها".

أجاب الرجل "أيتها الحمقاء لا تقلقي على الحيوان، ألم أشتره بعملاتي النحاسية؟ لا تشغلي بالك ودعيني ألعب النرد".

عادت الزوجة إلى الغزالة التي كانت راقدة على الأرض يبدو عليها الضعف والإعياء، وقالت "لم أستطع أن أقنع سيدك بالحضور، هل يمكن أن أعد لك الطعام بنفسي حتى تشعري بتحسن؟"

أجابت الغزالة "لا يا سيدتي، شكرًا. أفضل لو أن سيدي هو الذي يعده بنفسه. من فضلك عودي إليه وتوسلي إليه أن يقوم بذلك وإلا سأموت".

ذهبت عائدة إلى مصطفى وقالت "تعال بسرعة، الغزالة ترجوك أن تفعل ما طلبته منك وإلا ستموت، فهي مريضة جدًا وترقد على الأرض".

ولكن زوجها لم يحرك ساكنًا وطلب منها أن تذهب إلى الغزالة وتقدم لها اللبن، وعندما عادت الزوجة إلى الغزالة رأت عينيها زائغتين. وعندما أخبرتها بعدم مجيء مصطفى سقطت رأسها وماتت في الحال.

وفي تلك الليلة وفي غرفة نومه الوثيرة قال مصطفى لزوجته "ماذا حدث للغزالة؟ لم ترجعي إليَّ مرة أخرى!"

أجابت بأسى "ماتت.. وأنا حزينة على الطريقة التي تجاهلت بها توسلاتها لك قبل أن تموت. عندما يعود والدي سآخذ مهري وأعود إلى عائلتي فأنا لم أعد أحبك".

قال مصطفى "أيتها الحمقاء، اذهبي للنوم وفي الصباح لن تتذكري شيئًا عن هذا الأمر"، قال هذا ثم بدأت تسمع صوت شخيره.

في منتصف الليل رأى حلمًا؛ هُيئ له أنه رأى الغزالة مرة أخرى يملأ الحزن عينيها، وهي تقول له "لماذا لم تحضر لي الطعام عندما رجوتك؟ هل نسيت أنك مدين لي بكل الثروة التي تتمتع بها الآن؟ لقد كنت وفية لك لأنك منحتني حريتي، لماذا لم تبدِ بعض العطف وكنت في أشد الحاجة إليه؟"

قال مصطفى وهو يشعر بالخجل من نفسه، "لقد طلبت من زوجتي أن تقدم لك اللبن"، أجابت الغزالة "كان الأمر محتلفًا" ثم اختفت.

فجأة انتبه مصطفى خائفًا ليجد نفسه وقد عاد شحاذًا مرة أخرى يجلس أمام الفرن في منزل الرجل الثري في ضوء القمر، وبقي شحاذًا حتى وافته المنية.

حكايات من أفغانستان

طاهي الأمير والعطسة التي لا تُنْسَى

كان عبد الرحمن ملك أفغانستان يحب الحساء، وكان النوع المفضل لديه حساء البازلاء القشدي اللذيذ، الذي كان يُقدَم في أيام خاصة عندما كان يدعو الأصدقاء والزائرين من كل أنحاء البلاد. كانت توضع سلطانية كبيرة من الحساء أمام عبد الرحمن، وكان دائمًا ما يستمتع بها وهو ينفخ فيها ويشم رائحتها الطيبة.

وحدث ذات يوم أن دعا شيوخ عدة قبائل لقصره، وكان يتطلع للاستمتاع بحساء البازلاء، وبينما كان الطاهي يضع السلطانية التي يتصاعد منها البخار أمامه عطس فيها الرجل دون قصد، وبما أن ذلك فعل مذموم في أي مكان فقد انزعج الملك عبد الرحمن أيما إزعاج؛ لأنه لن يستطيع أن يشرب حساءه المفضل.

ماذا سيحدث للطاهي إذًا؟ وقبل أن يصبح عبد الرحمن حكيمًا عاقلاً كان في شبابه طائشًا، ولو كان ذلك الفعل قد حدث آنذاك لكان عبد الرحمن قد أمر بقطع رأسه في الحال. ولكنه الآن كان يريد أن يترك انطباعًا جيدًا عند شيوخ القبائل الموجودين ليرونه أكثر تسامحًا، فأمر بنفي الطاهي من مملكته بدلاً من قطع رأسه. قال "لا بد من أن تترك هذا المكان بدلاً من قطع رأسك، تتركه إلى الأبد ولا تجعلني أراك مرة أخرى. اذهب الآن قبل أن أفقد أعصابي".

جرى الطاهي عائذا إلى بيته وهو يتعثر ويقع ويقوم. قال الطاهي لزوجته "أعطني صرة وضعي فيها بعض الأشياء، يجب أن أرحل إلى الأبد فقد تسببت في

غضب الملك لأنني عطست في حسائه أمام ضيوفه، ولا أستطيع أن أعود إلى أفغانستان مرة أخرى".

قالت الزوجة "تمالك نفسك يا رجل، ستكون فترة قصيرة .. لا تقلق، سرعان ما سينسى الناس، وسيكون الملك سعيدًا بلقائك مرة أخرى لأنك الوحيد الذي يستطيع إعداد الحساء الذي يحبه جدًا. ابقَ بعيدًا لمدة قصيرة فقط. خذ هذا المال والقميص النظيف وحذاء آخر، لا تقلق، وسنخبرك حين يهدأ الملك من ناحيتك. اذهب وابقَ مع ابن أخي حيث يعيش".

قَبَّل الطاهي زوجته وطفله وودعهما، وأسرع في مشيه بعيدًا عن غضب الملك عبد الرحمن.

وبعد مرور بضعة أشهر، ترك الطاهي ابن أخ زوجته وتمكن من الحصول على عمل في المملكة المجاورة. ذاع صيته في صنع الحساء والصلصة والأرز، وكسب الكثير، وكان سيده الجديد سعيدًا به.

في الوقت نفسه كانت زوجته الفقيرة تعيش على المال الذي خبآه سويًا تحت الأرض. وذات يوم أدركت أنه لم يبقَ سوى القليل منه، فأرسلت ابن أخيها للمملكة المجاورة ليخبر زوجها بأنه لا بد من أن يعود ويتوسل للسلطان عبد الرحمن ويطلب منه العفو. طلبت منه أن يقول أمام الملك إنه كان يفتقد زوجته وطفله وأنه نادم على ما فعل، ولن يعطس مرة أخرى أبدًا. أخذ ابن الأخ بعض الوقت ليصل إلى الطاهي، وعندما وصل إلى هناك سمع عن الطاهي وسمعته الطيبة وشعر أنه لن يريد أن يعود معه، فقال له "هل لك أن تعطيني بعض المال لعمتي؟ أستطيع أن أخبرها أنك ستأتي في أسرع وقت ممكن".

بعث الطاهي الذي أصبح الآن يملك مالاً كثيرًا بعض العملات لزوجته، وقال إنه سيأتي لاحقًا عندما يستطيع ذلك.

مر عامان وربما ثلاثة ثم بدأ الطاهي يشعر بأنه يريد العودة مرة أخرى إلى أفغانستان ليرى زوجته وابنه وما آلت إليه الأوضاع، وحال زراعته التي زرعها قبل سفره، كما كان يريد أن يعرف ما إذا كان الملك قد سامحه ليعود إلى عمله القديم أم لا.

وصل به الضيق مداه من قائمة الطعام التي كان يمليها عليه سيده الجديد، ولم يعد في استطاعته إعداد حساء البازلاء اللذيذ والصلصات والأرز، التي كان يحب صنعها.

جمع حاجياته وأخذ ماله وتسلل تحت جناح الليل، وعندما اقترب من منزله القديم سمع سيدتين تتحدثان وهما تسيران معًا.

"كيف حالك يا عزيزتي؟"

"أنا بخير"

"هل هناك أخبار؟"

"لا ليس كثيرًا".

أخبرتها الثانية بسعر القرع والسبانخ، وبأن ابنتها سمعت من ابن اختها أخبار كذا وكذا".

" آه، ذلك الذي تزوج منذ ثلاث سنوات؟"

"نعم هو"

"كم عمر طفله؟" سألت الزوجة العجوز الأولى.

"دعيني أتذكر. كم عمر الطفل؟ حسناً. لقد ولد ذات الليلة التي عطس فيها الطاهي في حساء الملك عبد الرحمن. لا بد أن عمره ثلاث سنوات الآن".

ومضتا في طريقهما تكملان حديثهما.

تراجع الطاهي خطوة للوراء، وطأطأ رأسه. لقد أصبحت عطسته التي لا تنسى حديث المثرثرين ومروجي الشائعات في كابول، وقال لنفسه "لقد أصبحت جزءًا من القصص الشعبي في أفغانستان". بكل هذا الثقل في قلبه، كيف له أن يعود لبيته الآن؟

الحذاء الرائع ذو الرقبة الطويلة

في بلدة مزار الشريف كان يعيش إسكافي فقير. ذات يوم جاء تاجر ثري ومهم وسمين إلى دكانه وطلب حذاء ذا رقبة طويلة، وقال إنه كان يريده من أجود أنواع الجلود. وطلب مقاسًا معينًا وأن يصل إلى ركبتيه وأن تكون المنطقة العليا مطرزة بغرز مثل سرج الحصان، ويكون الجلد لامعًا لدرجة تمكنه من رؤية وجهه فيه. كان الإسكافي اسمه رمضان لأنه ولد مع نهاية شهر الصيام. قام رمضان بأخذ جميع المقاسات.

طلب منه التاجر أن يكون الحذاء جاهزًا قبل أن ينطلق في رحلته، وقال إنه سيرسل خادمه بعد أربعة أيام ليأخذه، لذا ترك الإسكافي ما في يده من عمل وذهب ليشتري أغلى أنواع الجلود التي يمكن أن يجدها في السوق. ودفع مقابل ذلك مالاً كثيرًا، واشترى كذلك خيطًا جديدًا. وكان يسهر ليلاً يعكف على العمل وكانت زوجته تناديه لينام، ولكنه كان يستمر في العمل. في اليوم التالي بدأ في صناعة فردة الحذاء اليمنى، كان يحيك الغرز بحرص شديد حتى أخذت منه وقتًا كان يكفي لعمل فردتين وليس واحدة.

قام بتلميع الجلد حتى كاد يبرق وهو يضع عليه الشمع ويحكه بعظمة حتى استطاع أن يرى انعكاس وجهه عليه، وعمل في اليومين التاليين على الفردة الأخرى بالطريقة نفسها. ومع نهاية الأيام الأربعة التي قضاها في عمله الشاق، أصبح لديه زوج من الأحذية من أفضل ما صنعته يد إنسان.

وضعهما في نافذة دكانه إلى أن يأتي خادم التاجر ليأخذهما، ولكن يومين مرا ولم يأت أحد. كانت زوجته تستعطفه وتطلب منه مالاً لتشتري طعامًا؛ لذا قام بلف الحذاء الثمين وأخذه لمنزل الرجل الذي طلبه.

دق الإسكافي باب منزل التاجر الكبير وطلب رؤيته لأن الحذاء جاهز معه وقال كم يريد ثمنًا له. ضحك الخادم الذي فتح له الباب ورد عليه بوقاحة قائلاً "سيدي رحل قبل يومين ولن يعود قبل ستة أشهر، وعلى الأرجح أنه صرف نظر عن هذا الحذاء، قال إنه ذاهب إلى الصين. إما أن تترك الحذاء هنا ويدفع لك ثمنه حين يعود، هذا إذا كان لا يزال يريده، أو أن تأخذه وتبيعه لأي غبي يشتري حذاء صُنع لغيره".

وقف رمضان حزينًا قابضًا بقوة على الحذاء وهو ينظر إلى الخادم الذي قال بحنق "حسنًا، ماذا ترى؟ هل تتركه أم تأخذه؟ على أية حال، اذهب الآن فأنا لديَّ الكثير الذي أعمله بدلاً من أن أتحدث إليك". عاد رمضان أدراجه في صمت وهو يسمع صوت إغلاق الباب وراءه.

عاد رمضان ووضع الحذاء الجميل اللامع في نافذة دكانه لعل أحدًا يشتريه، لكنه كان يشك في ذلك حيث إن ثمنه كان أغلى من مقدرة أي رجل عادي يعيش في مزار الشريف. عادة ما يلبس الناس هنا صنادل، والفقراء يمشون حفاة. أما راكبو الخيل فعادة ما كانوا يرتدون أحذية من جلود قوية تعيش معهم لسنوات طويلة، وهم يفضلون الجلد النظيف الذي لا تشوبه شائبة، اللين على القدم والمريح في الوقت نفسه.

وعندما عاد سألته زوجته، وهو يغلق باب الدكان ويدخل إلى مكان معيشته خلف الورشة؛ "أين المال الذي وعدت أن تحضره من منزل الزبون الغني؟"

أخبرها رمضان بأن الرجل ذهب إلى الصين، ويبدو أنه رحل قبل الموعد الذي كان من المقرر أن يستلم فيه الحذاء وأنه لن يعود قبل ستة أشهر، كما قال خادمه أنه ربما يعدل عن شراء الحذاء نهائيًا".

أخذت زوجته تبكي "من أين لنا بالمال لنشتري الطعام؟"، أعطاها رمضان بعض العملات من مدخراته القليلة. ذهبت إلى السوق يبدو عليها الثورة والتمرد بعد أن وصفته مرات عديدة بالغباء.

تناول رمضان حفنة من بذور الصنوبر وهو تعب، وذهب عائدًا إلى الورشة ليبدأ العمل في الطلبات التي كان قد تركها جانبًا من أجل حذاء الرجل الثري.

مرت الأيام والحذاء في نافذة الدكان. لم يدخل الناس حتى ليسألوا عن السعر حيث يدل شكله على أنه غالي الثمن، ولكنه كان يعمل بجد واجتهاد ليلاً ونهارًا حتى تمكن من أن يعود إلى دخله الذي اعتاد عليه، والذي لم يكن كثيرًا لأنه لم يكن يطلب من الناس مالاً كثيرًا مقابل عمله الماهر. كان حرفيًا يفتخر بما تصنعه يداه ويرضيه ذلك. كل يوم كان يقوم بتلميع الحذاء ذي الرقبة الطويلة المعروض في النافذة، وكان منظره جميلاً لدرجة تلفت نظر كل المارة، ومع ذلك لم يطلب أحد شراءه.

مر الوقت وبدأ رمضان ينسى الخسارة المادية من جراء صنع الحذاء. وذات يوم دخل إلى دكانه شاب نحيف معدم يسأل عن ثمن الحذاء المعروض في النافذة، نظر إليه رمضان وقال "أخشى أن يكون غالي الثمن بعض الشيء يا صاحبي، ولكني أسمح لك بأن تجربه إن أردت. اجلس هنا على المقعد"، وأخذ الحذاء من النافذة وأعطاه للشاب الذي كانت ملابسه لا تدل على أن في مقدوره شراءه، كان يبدو فقيرًا جدًا ويرتدي صندلاً قديمًا، ولكن رمضان كان فخورًا بعمله ويسعده أن يريه لأي شخص أيا كانت مكانته؛ لكي يرى الإعجاب في عينيه.

قال الإسكافي "ارتد الحذاء يا صديقي وسر به قليلاً، إنه رائع، أتشعر باللين في النعل؟". ارتدى الشاب الحذاء وأخذ يمشي مختالاً في الدكان حتى بدا أنه تحول من ذلك الصعلوك الذي دخل الدكان قبل قليل إلى شخص يمشي بكل ثقة وتفاخر.

سأله رمضان "من أنت أيها السيد الشاب؟ ومن أين أتيت حتى يكون لك كل هذا الذوق الراقي؟"، وابتسم لأنه كان يعلم أن حذاءه هو الذي حسّن من مظهر ذلك الزبون الفقير.

في اللحظة نفسها فُتح باب الدكان ليدخل رجل في منتصف العمر يرتدي أفضل الثياب. هز رأسه بالتحية للزبون ذي الثياب الرثة وقال "لقد بحثت عنك يا سيدي في كل مكان. قلقنا عليك بعد اختفائك لأن أفراد العائلة الحاكمة يخشون أن يكون مكروهًا قد حدث لك. دعني أرجوك اتبعك للعربة حتى نذهب للقصر الليلة".

فغر الإسكافي فاه من الدهشة لأنه تأكد من كلام الرجل أن ذلك الزبون لم يكن سوى ابن الأمير. لم يعرف ماذا يقول عندما سأله الزبون عن ثمن الحذاء.

وأكمل، "إنه حذاء مريح جدًا وأريد أن أشتريه يا صاحبي على الرغم من شكوكك في قدرتي على شرائه عندما دخلت الدكان أولاً".

تلعثم الإسكافي وهو لا يدري ماذا يقول، "جلالتك، أنا لا أعرف، لم أكن أعرف.."

قال الأمير "ألم تكن تعرف أني أسير بعض الأوقات في البلد كشحاذ، كيف إذًا يمكن أن أنقل لأبي أخبار شعب أفغانستان؟ تعال! خذ كيس الذهب هذا مقابل حذاءك الرائع، فأنا سعيد به. شكرًا على صناعتك الماهرة، سيكون أبي سعيد جدًا حين يعرف أنه ما زال هناك رجال يصنعون أحذية تليق بقدمي ابن ملك".

ثم رمى الأمير كيسا من الجلد على منضدة في الدكان وأسرع الخادم أمامه. كانت في انتظاره أمام الدكان عربة يجرها حصانان أبيضان، ركب الأمير وذهب سريعا.

"فاطمة! فاطمة! تعالي بسرعة لتسمعي ما حدث"، نادى رمضان زوجته التي كانت قد رجعت لتوها من السوق والسلة تحت ذراعها. "انظري! لقد بعت الحذاء، ولن تصدقي لمن"، ثم أخبرها بالقصة وأعطاها عشرين عملة ذهبية.

لم تصدق فاطمة ما حدث وكانت تظن أنها تحلم ثم بدآ في الضحك والرقص، وشكرا الله على اليوم الذي جاءه فيه التاجر يطلب ذلك الحذاء الغالي الثمن. أخذت فاطمة تعد العملات الذهبية وهي تقول: "كم هي غامضة تدابير العناية الإلهية! سيكفينا هذا المال لفترة طويلة. سنتمكن من إغلاق المحل بعض الوقت ونذهب لزيارة أمي ثم نعود لنبدأ من جديد. لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة أخذنا فيها عطلة للراحة، لم نملك قط مثل هذا القدر من المال".

وهكذا، ما كان يبدو كارثة، كان في الحقيقة نعمة من الله، وعلى الرغم من أن التاجر الغني الذي غيّر رأيه لم يعد من الصين، فقد جاء إلى دكان الإسكافي الكثير من الزبائن يطلبون أحذية جديدة؛ لأنهم تأكدوا من مهارة رمضان فى صنع أجمل الأحذية.

الأمير الذي يخاف النمور

كان هناك ملك لديه ابن وسيم، وكان شديد الإعجاب به. درب الملك ابنه على كل ما يتعلق بالبلاط، وعلمه الحساب والهندسة والفلك، وتعلم الأمير كذلك كيفية كتابة الشعر ودراسة الكتب الكلاسيكية القديمة. عندما أصبح في الثامنة عشر قال له الملك "إسكندر يا بني، هناك سر يجب أن يتعلمه كل أمراء العائلة عندما يبلغون الثامنة عشر. هناك نمر تربى لهذا الغرض وهو قوي وشرس جدًا. سيكون عليك أن تدخل قفصه بخنجر واحد ودرع صغير. يجب يا بني أن تصارع هذا النمر وإلا لن تصبح ملكًا أبدًا. لقد دخلت القفص لأصارع نمرًا مماثلاً عندما كنت في مثل سنك، وبقوة ساعدي الأيمن تمكنت من غرس الخنجر في قلبه. كان أبي في غاية السعادة مما فعلت، وأخبر الناس أنني اجتزت امتحان القوة والجرأة الذي يجب أن يؤديه كل أمراء العائلة لكي يصبحوا ملوكًا".

حزن إسكندر لتلك الأخبار، وقال "أنا لا أحب قتال الوحوش يا أبي، دعني أصارع رجلاً أو حتى عفريتًا ولكن نمر.. يبدو ذلك مستحيلاً بالنسبة لي".

بدا عدم الرضا على وجه الملك وقال "إذا لم تجتز هذا الامتحان فكيف للشعب أن يقبلك ملكًا بعد وفاتي؟ تعال الآن، إنها ليست بالمهمة الصعبة. شاب قوي مثلك لا بد من أن يكون قادرًا على التخلص من هذا الوحش بسهولة. أنت تحتاج للشجاعة وهذا كل ما في الأمر. إن لم تكن لديك الشجاعة لمصارعة هذا النمر فسوف يتم اعتبارك جبانًا".

امتلأ قلب إسكندر بالرعب من الفكرة في حد ذاتها، ولكنه أجاب: "دعني أرى الحيوان يا أبي ثم أخبرني بموعد القتال بعد ذلك".

أجاب الملك "بالطبع، سأريه لك الآن، ولك أن تقرر متى ستكون مستعدًا لدخول القفص معه حتى تتخلص منه، وهذا يجب أن يكون بعد رؤيته ببضعة أيام على ما أظن".

قاد الملك الأمير الصغير الذي كان يرتعد خوفًا إلى زنزانة تحت القلعة يوجد بها قفص حديدي به نمر شرس ذو أسنان ضخمة، وزمجرة شريرة، كان يلوك عظمة كبيرة.

فكر الأمير في حال من يدخل القفص مع هذا الوحش، وسأل والده "هل أخذت وقتًا طويلاً لتقتل نمرك؟"، أجاب والده بهدوء "لا، لم يكن وقتًا طويلاً. كنت أعرف أين أغرز السكين، وكم أسعدت جدك بالسرعة التي أديت بها المهمة!".

لم يكن في مقدور إسكندر الخروج بسرعة من الزنزانة، تبع خطوات والده وراح يتنفس الهواء النقي في فناء القصر، وكان عقله مشوشًا ومرتبكًا. كيف له أن يتجنب هذه المواجهة المرعبة التي يظن والده أنها أمر يسير؟

وعد والده بإخباره بموعد استعداده لخوض تلك المحنة، ولكن أثناء العشاء بدا عليه الشرود وهو يفكر في المشكلة، وأسرع إلى غرفته. كان يعرف أنه قوي البنية بدرجة كافية لكنه كان خائفًا جدًا، ما العمل إذًا؟ ما إن ذهب إلى فراشه حتى كان قد عقد العزم على ترك القصر أثناء نوم والديه، وربما لن يعود لأنه لم يستطع إقناع نفسه بقتال النمر.

استيقظ في منتصف الليل وارتدى ملابس عادية وذهب إلى الإسطبل وأخذ معه كيسا من الذهب وأخفاه تحت حزامه للطوارئ. طلب من السائس النعسان أن يجهز له حصانه المفضل، وذهب في طريقه بعيدًا عن البيت. لم يترك رسالة لأبيه لأنه كان خَجلاً من جبنه.

ذهب باتجاه الشمال، وفي الصباح كان عند نهر جميل تحيط به المروج الخضراء من الجانبين، هنا ترجل عن حصانه وتركه يشرب ويرعى العشب الأخضر؛ ثم سمع صوت راعٍ يعزف على مزمار وهو يقود قطيعًا من الخراف. سأل إسكندر الصبي عن مكان يقضي فيه بضعة أيام، فأشار الصبي إلى طريق يؤدي إلى بيت كبير يعيش فيه سيده، قائلاً إنه يرحب دائمًا بالغرباء ويبدي لهم الكرم وحسن الضيافة.

كان ذلك السيد يملك الكثير من الأراضي المجاورة ورحب بإسكندر ودعاه للبقاء المدة التي يريدها. تناولا الإفطار سويا ثم سأل إسكندر "من أين أنت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟"، راوغه إسكندر وهو يقول "لدي مشكلات في البيت دفعتني لتركه لفترة. أرجو ألا تسألني عن تفاصيل أكثر فأنا أحاول أن أجد حلاً لمشكلاتي بنفسي".

أجاب الرجل الأكبر سنًا بأنه متفهم الأمر، "ابقَ هنا كما تشاء واعتبر هذا البيت بيتك، ومع الوقت ستصل لحل مشكلتك بتدبير العناية الإلهية"، ثم أخذ الحصان إلى الإسطبل، وبعد أن مشي قليلاً في الحديقة شعر بأنه من الأفضل البقاء في هذا المكان الهادئ حتى يجد الحل. وكانت تسيطر عليه فكرة واحدة، وهي أنه لا يريد أن يعود إلى بيته.

كان كل يوم يكتشف مكانا ساحرًا جديدًا ويستمتع بمنظر النهر وصوت المزمار، أو يمتطي جواده ويذهب لموقع يستطيع أن يرى منه الريف المجاور، ويستمتع بالأشجار والعنب الوفير الذي ينمو في الكروم من كل جانب.

وذات ليلة وهو ينظر من نافذة غرفته رأى نمرًا فملأه الرعب. عندما سمع زمجرة النمر تجمد الدم في عروقه من الرعب. طار من عينيه النوم في تلك الليلة وكان يتقلب ذات اليمين وذات الشمال في السرير. وفي صباح اليوم التالي سأله مضيفه "هل نمت جيدًا؟ يبدو عليك الإرهاق!"

قال إسكندر: "لا، رأيت نمرًا ضخمًا بالأمس، سمعت زمجرته ويبدو أنه حيوان خطر. هل هذا النمر هنا؟ أقصد هل هو قريب من المنزل؟"

أجاب صاحب الأرض "آه، نعم هنا عدد قليل منها، ونادرًا ما نلاحقها وبعد الغروب يكون كل شيء تحت الحراسة بالطبع، فقد أمرت الحراس بأن يطلقوا عليها الرصاص إذا رأوها بالقرب من الإسطبل أو حظائر الحيوانات". ولم يبدُ عليه القلق لأن إسكندر رأى النمر وكان يبتسم في لطف وهو يتحدث معه. بعد الظهيرة وبعد أن أسرج حصانه ودّع مضيفه الكريم، انطلق في رحلة أخرى متجهًا ناحية الشمال بعد أن أفزعته رؤية النمور لدرجة كبيرة.

استمر في رحلته حتى اقترب الليل وأسعدته رؤية قلعة كبيرة، يحرس بوابتها الرئيسية بعض الرجال المسلحين. مع اقتراب الليل كان هؤلاء الحراس يستعدون لإحكام إغلاق البوابة الرئيسية ليوفروا الأمان لمن بداخلها. ترجل إسكندر عن جواده وأخبرهم أنه مسافر يريد مأوى من سواد الليل، أعطاهم عملة ذهبية

فسمحوا له بالدخول، وأخذوا حصانه وقدموا له الطعام. وبينما هم جالسون حول صينية مملوءة بالأرز المتبل بالبهارات عليه لحم الضأن، سأل صاحب القلعة، وكان محاربًا طويل القامة ذا لحية، إسكندر بأدب "من أين أنت؟ وما وجهتك؟"

توسل إليه إسكندر قائلاً "من فضلك لا تسألني، يكفي أن أقول لك إنني شخص اضطرته الظروف لأن يترك بيته، وسأحاول أن أجد حلاً لتلك المشكلة بدون مساعدة من أحد".

هز المحارب ذو اللحية رأسه وربت على لحيته وهو يأكل مع إسكندر، وبعد كوب من الشاي الأخضر الشهي، جاء خادم وصحب إسكندر إلى حجرة الضيوف. وصعد المحارب إلى غرفة نومه في الطابق العلوي وهو يقول لإسكندر "لتكن هذه الليلة مباركة عليك، وتذكر أن الزمن يعطينا كل الأجوبة".

في اليوم التالي سأل المحارب ما إذا كان يحب أن يذهب معه ورفاقه لاصطياد الصقور، وهو الشيء الذي كان يستمتع به إسكندر وهو يتنفس الهواء النقي ويشاهد المناظر الخلابة. بعد قضاء يوم رائع عادوا جميعًا ليجدوا مأدبة عامرة، فأكلوا وشربوا معًا مستمتعين بدفء الرفقة. وبينما هم على استعداد للذهاب للنوم قال المحارب لإسكندر: "لقد استمتعت أنا ورجالي بصحبتك اليوم، وأعجبت بالطريقة التي اصطدت بها الصقور معنا، نحن نحارب في أوقات معينة فقط، من حين لآخر يكون علينا أن نحارب قبائل أخرى لنأخذ بالثأر وربما لأسباب أخرى. الشجاعة شيء مطلوب لضمان بقاء قبيلتنا؛ وهناك رياضة أخرى نقوم بها وهي اختبار للشجاعة والمهارة في فنون القتال، نريد أن ندعوك لتشارك فيها وتختبر بسالتك، هناك منطقة في الجنوب تبعد ميلين عن هنا مليئة بالنمور. عادة ما نستيقظ

ونؤدي صلاة الفجر وندعو الله أن يحمينا ثم نذهب لنحارب النمور، نأخذ معنا الخناجر والسهام والدروع وعادة ما نقتل أحد تلك المخلوقات الشرسة. سنكون في منتهى السعادة لو جئت معنا غدًا"، ثم تمنى للضيف نومًا هادئًا لأن اليوم التالي سيكون شاقًا.

أُسقط في يد إسكندر وبدا على وجهه الشحوب عندما قال له المحارب "عمْ مساءً". لم يغمض له جفن حتى طلوع الفجر فركب حصانه وذهب مع شروق الشمس. كان يعرف أنه لن يستطيع الذهاب مع أولئك المحاربين المرعبين لصيد النمور، وتأكد أن أحدًا لا يتبعه بعينيه، وأرغم الحصان على العدو في الاتجاه الآخر. وهذه المرة ذهب غربًا بأقصى سرعة يقدر عليها جواده.

وقال لنفسه "لا أفهم، لماذا أجد النمور أينما ذهبت؟ ألم أترك بيتي لأتجنب مواجهة أحدها؟"

سار في طريقه حتى وصل إلى إقليم رائع به هضاب وأودية تكسوها الشجيرات وأشجار الفاكهة الصغيرة ذات البراعم ذكية الرائحة. ترجل من على حصانه ليفرد رجليه ويدع الحصان يشرب من البركة الهادئة، ثم واصل سيره حتى رأى قصرًا رائعًا لم يرَ مثله من قبل. كان القصر مشيدًا من أحجار وردية اللون، به أعمدة مزينة بالفسيفساء الأزرق بلون السماء، وشرفات من الخشب المحفور الملون والمنمق في تصميماته، به نوافير ذات مياه نقية في كل أرجاء الحديقة وأروقة تغني الطيور وهى في أعشاشها.

قال إسكندر لنفسه "إنها الجنة على الأرض"، واقترب من القصر في حذر وهو يتوقع أن يكون ذلك القصر ملك جنية أو حورية لها قدرة على إخفائه إن اقترب أكثر من ذلك، لكنه رأى حارسا على البوابة الرئيسية قدم له التحية، وتقدم منه صبي أخذ منه الحصان للإسطبل كما لو كان إسكندر ضيفًا عزيزًا ينتظرون

قدومه. ثم جاء خادم اصطحبه إلى حجرة الضيوف وأراه أين يستحم، وقدم له ملابس بدل ملابسه التي اتسخت من السفر.

سأل إسكندر الخدم عن مالك هذا القصر الرائع، فأخبروه بأنه كان رئيس وزراء الملك، وأنه في ذلك الوقت كان يعيش مع ابنته الوحيدة بيبي مريم التي كانت أجمل فتاة في البلاد.

وبعد أن غيّر إسكندر ثيابه، جاءه أحد الخدم ليخبره بأن الطعام جاهز ومالك القصر في انتظاره، وسرعان ما كانا جالسين يأكلان لحم الغزال والأرز المتبل بالبهارات.

قال المضيف "من أين أتيت؟ وما وجهتك؟"، كانا قد انتهيا من تناول الطبق الرئيسي وبدآ يأكلان المشمش والبطيخ والفستق واللوز.

"لا أستطيع أن أتحدث عن وضعي"، تلعثم إسكندر وهو يقول ذلك وواصل كلامه، "اضطررت أن أترك بيتي بسبب مشكلة أشعر بالعجز عن مواجهتها. أرجو أن تسامحني لأنني لا أريد الإفصاح أكثر من ذلك".

أجاب الوزير وهو يربت على لحيته وعلى كتف الشاب الصغير قائلاً "هاك بعض الشاي الأخضر بالحبهان، أخبرني بكل شيء غدًا إن كنت ترغب". ثم جاء وقت النوم فأخذ إسكندر إلى حجرة الضيافة، فوجد فيها سريرًا كبيرًا وأخبره بأنه يستطيع البقاء في القصر أي مدة يريدها.

بقي إسكندر مع نفسه بجانب المدفأة التي تشتعل فيها فروع من أشجار الصنوبر. وقال لنفسه هنا أستطيع البقاء مدة طويلة. ذكّره المكان ببيته ولم يتمالك نفسه والدموع تنزل من عينيه حينما تذكر أنه ترك والده دون كلمة، وربما لن يراه مرة أخرى. عرف أنه جبان فعلاً.

مضت بضعة أيام قبل أن يتمكن من رؤية بيبي مريم ابنة رئيس الوزراء الجميلة لأول مرة. كانت جالسة في الحديقة تغني بصوت عذب وهي تعزف على آلة وترية. قبل أن يتقدم إليها ويقدم نفسه تجمد الدم في أوصاله؛ فقد رأى نمرا بجانبها، ممددًا أمام قدميها ويبدو عليه العنف. نظرت إليه الابنة وقالت "أنت الضيف إذًا؟ رأيتك عدة مرات تأكل مع والدي. نستطيع أن نرى من في صالة الطعام عندما نطل من شرفة الحريم"، وضحكت ضحكة جميلة. رفع النمر رأسه ونظر إلى إسكندر بعينيه الخضراوين الكبيرتين اللامعتين كالزمرد، كان له أسنان حادة. قال إسكندر في ضعف "آسف على إزعاجك، يجب أن أذهب الآن. ليس من اللائق أن أقطع عليك عزفك وغناءك"، كان يتمنى أن يركض بأقصى سرعة، لكنه خشي إن فعل ذلك أن يجري النمر خلفه يطارده.

قالت الفتاة "هراء، تعالَ هنا واجلس. طلب مني والدي أن أحسن ضيافتك وأقدم لك نمري الحبيب. من فضلك تعالَ اجلس على هذا الكرسي"، وأشارت إلى كرسي أمامها.

كان كل ما فيه يضطرب من القلق والرعب، ولكنه أجبر نفسه على الجلوس حيث أشارت. نظر إليها في خجل، لكنه تأكد أنها بالفعل أجمل فتاة في البلاد، لم يرَ فتاة في مثل جمالها؛ عيناها واسعتان داكنتان، ذات أهداب سوداء ولها فم وردي ممتلئ، وشعر نحاسي لامع، كانت ترتدي ثوبًا أخضر بلون أوراق الشجر. عندما بدأت في الغناء مرة أخرى أغمض النمر عينيه وقبع تحت قدميها كقطة أليفة. شعر إسكندر بشجاعة أكبر عندما حول النمر نظره من عليه. كانت بيبي مريم إنسانة رقيقة. شعر بأنه وقع في غرامها، لكنه شعر في قرارة نفسه بأنه إنسان جبان، فتساءل بمرارة: كيف لها أن تكن أي مشاعر لإنسان جبان مثله؟

جاء رئيس الوزراء وزوجته للحديقة ليجلسا مع ابنتهما ومع إسكندر، واحتسوا جميعًا أكواب الشاي الأخضر المَحلّي. بدا على الوالدين الرضا لرؤية الود بين الشاب والفتاة، على الرغم من أن إسكندر لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر بقلق بين الفينة والأخرى ناحية النمر القابع تحت قدمي بيبي مريم. بعد أن استمتعوا بموسيقى بيبي مريم وهموا بالدخول إلى القصر، قال الوزير لإسكندر: "على فكرة، لا تنزعج إذا سمعت صوت النمر وهو يحاول أن يشتم أي رائحة عند باب غرفتك ليلاً. فعندما نخلد للنوم، يحب النمر أن يتجول في ردهات القصر ليتأكد من عدم وجود لصوص"، وضحك، ولم يلحظ الشحوب الذي بدا على إسكندر.

عندما سكن كل شيء، سمع إسكندر على باب غرفته صوت النمر يعبث بمقبض الباب بمخالبه. كان يرقد في سريره مرتعد الفرائص. لم يغمض له جفن على الرغم من تأكده أن الباب موصد، وفي الصباح وقبل أن يفتح الباب نزع المفتاح ونظر من الفتحة فلم ير النمر.

وقتئذ قرر إسكندر أن يعود إلى بيته، حيث إن النمور تحيط به في كل مكان، فلربما كان النمر الموجود في زنزانة والده أهون منها جميعًا. اغتسل وغير ثيابه وقال للوزير: "أريد أن أستأذنك في أن غادر القصر. أريد أن أعود إلى بيتي لأنني عقدت العزم على مواجهة المشكلة التي تركتها ورائي. إذا لم أعد فلن أهنأ بسلام أبدًا أينما ذهبت. أنا ابن ملك، وأنا جبان، ولكني أريد أن أعود وأغير كل ذلك فلن أسمح بتشويه سمعة عائلتي. أشعر بالخجل، لا بد من أن أنجح كي أستطيع أن أطلب يد ابنتك بيبي مريم، التي أحبها من كل قلبي، للزواج، فهي من الشجاعة بأن يكون لديها نمر كحيوان أليف. لم أعد خائفا وسأواجه قدري في البيت مهما كان الأمر".

أجاب الوزير "أحسنت القول يا أمير إسكندر. عرفت من أنت بمجرد أن وطأت قدمك بيتي؛ لأنك تشبه والدك إلى حد كبير عندما كان في مثل سنك. اذهب، اقتل النمر وسأقدم لك ابنتي المحبوبة بيبي مريم عن طيب خاطر، هذا إذا كانت تريد ذلك. فلتحل عليكما بركة الله".

هرول إسكندر في طريقه لكي يصل إلى البيت بأقصى سرعة.

عندما مر على قلعة المحارب ذي اللحية وجده واقفًا على باب قلعته. وقف الأمير وترجل من على حصانه وأمضى الليلة هناك. وهو يهم بالرحيل قال له المحارب: "كنت أعرف من أنت أيها !الأمير إسكندر لأنك تشبه والدك الذي حاربت لأجله معارك عدة في أيام خلت قبل أن تولد أنت، تشبهه تمامًا عندما كان في مثل عمرك. أنا سعيد بعودتك إليه لأنك ابنه الوحيد وواجبك يحتم عليك أن تعود وتقاتل النمر". ورافق إسكندر إلى باب القلعة وباركه في مهمته.

بعد أن أخذ قسطًا وافرًا من الراحة سار حتى وصل إلى منطقة المروج المزهرة، عندما سمع موسيقى الراعي الصغير وهو يلعب على مزماره، وتذكر حُسن ضيافة مالك تلك الأرض ذهب ليسأل ما إذا كان الرجل في البيت. أجاب الحارس بالإيجاب وأعلن عن وصول إسكندر الذي قوبل بكل حفاوة وترحاب.

وبعد أن أكل مع مضيفه أخبره أنه وجد حلاً للمشكلة التي حيرته عندما كان هنا من قبل. قال صاحب الأرض وهو يبتسم "لتقتل النمر كما أظن؟" وأكمل "هذا قرار صائب لأنك إذا خرجت عن تقاليد العائلة فستحطم قلب والدك".

تعجب إسكندر وقال: "إذًا أنت أيضًا تعلم والدي والتقليد الذي يحتم على أن أقتل النمر حتى أصبح ولي عرشه حقًا؟".

أجابه "نعم، عرفت من أول وهلة، فأنت تشبه والدك لحدٍ كبير عندما كان في مثل سنك، وقد عرفت ما كان يعتمل في صدرك. عليك بركة الله يا أمير إسكندر. أتمنى لك التوفيق في الامتحان الذي ينتظرك". ثم افترقا وأسرع حصان إسكندر في عدوه لشوقه لخوض الامتحان أمام النمر. تذكر محبوبته بيبي مريم الجميلة واستجمع كل قواه وشجاعته كلما كان يقترب من القصر.

بعد أن وصل إلى القصر أسرع في تقبيل يد والده يطلب منه العفو لأنه هرب من البيت ومن قدره بتلك الطريقة، "والآن دعني أقاتل النمر وآخذ الخنجر والدرع بأسرع وقت ممكن؛ لأنني على أهبة الاستعداد للامتحان".

رد الملك "ممتاز"، وقال لأحد رجال بلاطه "تأكدوا من حماية جسد الأمير وأعطوه أفضل درع وخنجر حتى يتسنى له لقاء النمر في أسرع وقت ممكن، أتمنى أن يحقق الله رجائي ويقتل إسكندر النمر حتى يصير أهلاً لملك هذا البلد".

انتشرت الأخبار في القصر، وعندما نزل إسكندر إلى زنزانة النمر كان الكل يحيونه ويشجعونه. فُتح الباب الحديدي وزمجر النمر وهو يظهر أسنانه اللامعة. دخل إسكندر القفص تملؤه الشجاعة مسلحًا بالخنجر والدرع. كاد قلبه أن يتوقف للحظة، لكنه تقدم واستجمع قواه ورفع الخنجر وغرسه في رقبة النمر.

فجأة تهاوى النمر أمامه وانخفض صوته وحك رأسه في ركبتيه وصار يتمسح في حذائه ككلب صيد. أخذ حارس النمر الخنجر من يد الأمير الشاب وقال "انظر أيها الأمير الموقر، إن هذا النمر مروض كقطة أليفة فهو لم يجرح إنسانًا في حياته. الحقيقة أننا ربيناه ودربناه حتى نختبر شجاعتك، وأرادت العناية الإلهية أن تظهرها أمام الجميع اليوم".

ضحك إسكندر من أعماق قلبه وشعر بارتياح شديد لما آلت إليه الأمور، وتبعه الحيوان مجرورًا خلفه. ذهب إلى والده الذي ابتسم وقال، "تعرف الآن كل شيء عن اختبار النمر الذي تتوارثه الأجيال من أمير لأمير، لقد كان دورك اليوم. أنا فخور بك يا بني، إنك حقًا جدير بالعرش". واحتضنه في فرح شديد. كان النمر قابعًا تحت قدميهما يحدق بعينيه الخضراوين الكبيرتين في إسكندر الذي كان يستقبل رجال البلاط وهم يهنئونه على نجاحه.

لم يُضِع إسكندر الوقت وأرسل رسولاً إلى بيبي مريم يخبرها بأنه لن يكون جبانًا بعد اليوم، ويطلب منها المجيء إليه ليتزوجها بعد أن يوافق والدها.

جاءه الرد الذي يريده بعد طول انتظار قبل أن تأتي إليه عروسه في محملها ومعها أقاربها وخدمها وهدايا تليق بفتاة ستصبح عن قريب أميرته. أقيمت الأفراح والليالي الملاح لأربعة عشر يومًا وليلة، وكانت العملات تلقى يوميًا من الشرفات على كل فقراء البلاد. وكان الشاي الأخضر يقدم في المقاهي إلى كل الناس السعداء بزواج الأمير. أما النمر الذي جاءت به بيبي مريم إلى بيتها الجديد، فكان يلعب الآن مع نمر إسكندر، وكان النمران يتبعان سيدهما وسيدتهما مثل قطين أليفين حتى آخر العمر.

الحصاة التي أرادت أن تسافر حول العالم

كان يا ما كان، هناك حصاة صغيرة ملساء بجانب نهر. كانت تلك الحصاة موجودة بجانب كومة من الصخور الرملية التي تتفاخر فيما بينها بالمناطق التي سافرت إليها.

قالت واحدة:" أنا من أعلى نقطة في الجبال، نعم! أنا جزء من سلسلة جبال بامير الشاهقة؛ لأنني وقعت وتدحرجت لأبقى هنا في هذه البقعة منذ آلاف السنين".

وقالت أخرى "نعم! أنا أيضًا جئت من أعالي الجبال، كانت رأسي تخترق السحاب في عنان السماء، وذات يوم حدث انهيار صخري ووقعت ولم أعرف شيئًا حتى سقطت هنا بجانب النهر. أظن أنني أكبر منك سنًا. أظنه شيئًا رائعًا أن نحكي نحن الصخور التي لا مثيل لها قصة خلقنا العظيم".

وقالت الحصاة الصغيرة جدًا التي لا يكاد يلحظها أحد: "من المؤكد أنني كذلك كنت جزءًا من صخرة، ومن المؤكد أيضًا أنني كبيرة في السن، انظرن كيف أن جسمي أملس ومتآكل، إنه لامع ومستدير كما القمم العملاقة".

قالت الصخرة الأولى "اصمتي أيتها الغبية. احترمي من هم أكبر منك سنًا. كيف يمكن لشيء جاهل لا قيمة له مثلك أن يسافر في العالم؟ هل تعرفين كم هو كبير هذا العالم؟"

أجابت الحصاة "لا، ولكني أحب أن أعرف".

ضحكت الصخور الرمادية الكبيرة وطلبت من الحصاة أن تصمت وألا تتدخل مرة أخرى في أحاديث من هم أكبر سنًا وأعظم شأنًا منها، ولكن الحصاة لم

تكف عن التفكير حتى أصبح السفر فكرة مسيطرة عليها. ذات يوم جاءتها فكرة. عندما مرت قافلة جمال من ذلك المكان محملة بأجولة من التوت في طريقها إلى أقرب بلدة، التصقت الحصاة بين أصابع القدم الخلفية لجمل ضخم ذي سنامين، ومكثت هناك لمدة طويلة. استمرت القافلة في سيرها حتى لاحظ راعي الجمال أن ذلك الجمل بالذات كان يعرج في سيره. تفحص قدمه ونزع الحصاة منها ورماها وهو يهيل عليها اللعنات. استمرت الجمال في سيرها البطيء مع صلصلة الأجراس المعلقة في رقبتها.

وجدت الحصاة نفسها بجانب بيت صغير كان يعيش فيه درويش كبير. خلع الرجل حذاءه خارج الباب كعادته قبل الدخول إلى بيته، وقفزت الحصاة من المكان الذي ألقيت فيه لتسقط في فردة الحذاء. عندما كان الدرويش يذهب إلى أي مكان كان يلبس حذاءه، ولكنه لم يشعر بالحصاة التي أخفت نفسها بمهارة شديدة بين أصابع القدم والحذاء نفسه. كان الجو حارًا والطريق مغبرًا وبعد عدة أميال بدأ الدرويش يشعر بقدمه تؤلمه. جلس على جذع شجرة يتمتم لنفسه "هل عندي قرح؟ حذائي يؤلمني جدًا"، نزع الحذاء من قدمه وتحسسها ثم أدخل يده فيها ونزع الحصاة وقال "هذا ما كان يؤلمني إذًا. حسنًا! لن تؤلمني بعد الآن"، ورماها في النهر.

سقطت الحصاة في فم سمكة كبيرة جدًا كانت تفتحه لتلتقط ذبابة، فابتلعت الحصاة في لحظة. خافت الحصاة من الظلمة في معدة السمكة وتمنت لو أنها لم تترك المكان الآمن الذي كانت فيه بجانب الصخور الكبيرة. لم تعرف ما حدث ولم يعد هناك أي بصيص من نور.

لا تعرف كم مكثت الحصاة في بطن السمكة، ولكن ذات يوم وقعت السمكة في شبكة صياد شعر بالفخر والانتصار لصيدها وأخذها لبيته ليطعم عائلته. قبل أن تضع الزوجة السمكة في القدر قامت بتنظيفها ووجدت الحصاة في أحشائها، فأمسكت بها في الضوء لكي تراها جيدًا، وقالت لزوجها "انظر ماذا أخرجت من بطن السمكة يا عزيزي؟ لها شكل جميل حقًا. سأغسلها وأضعها في خاتم. أليس لونها جميلاً؟"

وافقها الزوج لأن الحصاة كانت تبدو في الضوء مستديرة ملساء لها لون براق، وتشبه حبة البازلاء فيمكن وضعها في خاتم.

عندما ذهبا إلى السوق أخذت الزوجة الحصاة معها وربطتها في طرف غطاء رأسها، وبينما كان زوجها يبيع السمك، ذهبت إلى الصائغ وسألته "كم سيكلفني إذا وضعت لي هذه الحصاة في خاتم؟ لا تتوقع مني أن أدفع الكثير فأنا امرأة فقيرة". وضع الصائغ العدسة على عينه وأخذ يتفحصها جيدًا.

أيقن الصائغ أن ذلك الحجر إذا ما وضع في خاتم فسيكون ثمنه كبيرًا، ويمكن أن يشتريه نبيل من النبلاء؛ لذا قال للمرأة "لست متأكدًا من أنني أستطيع أن أضع هذا الحجر في خاتم مناسب، ولكن يمكن أن تتركيه لي وسأعطيك بدلاً منه هذا الخاتم الفيروزي الذي صنعته الأسبوع الماضي، والذي سيناسب إصبعك تمامًا، ووضع الخاتم ذا الحجر الفيروزي الأزرق في الإصبع الأوسط من يدها اليمنى، فكان قياسه مناسبا تماما. ابتسمت المرأة في رضا ومضت في طريقها سعيدة بالمقايضة.

وجدت الحصاة نفسها الآن على طاولة الصائغ مع سوار من الفضة مثبتة في خاتم فضي. وسألت نفسها "ماذا حدث لي؟"، أحست بثقل الفضة عليها ولم يعد في إمكانها القفز من على الطاولة. كانت تريد أن ترحل من ذلك السوق المزدحم المثير للأعصاب المليء بالجلبة والضوضاء. لم تحب الحصاة وضعها الجديد فقد شعرت كأنها في سجن، لم يعد في مقدورها السفر في أنحاء العالم كما كانت تتمنى.

فرغ الصائغ من صنع الخاتم وبه الحجر ليريه للنبيل، وبعد أن أتم عمله شعر بالفخر والزهو، ثم وضع الخاتم في جراب جلدي صغير وذهب إلى بيت النبيل. كانت الحصاة تشعر بالظلمة واليأس. لا بد من أن تكون تلك هي النهاية، وكانت تتمنى أن تعود إلى مكانها السابق بجانب النهر والصخور الرمادية الكبيرة عند سفح الجبال الشاهقة.

وصل الصائغ إلى مبتغاه وأعجب النبيل بالخاتم، وأعطى الصائغ عشرة أضعاف ثمن الخاتم الفيروزي، الذي أعطاه الصائغ لزوجة الصياد مقابل الحجر.

كان الكل في سعادة فيما عدا الحصاة، فهي هنا مكبلة ومثبتة في هذا الخاتم القميء وتتنقل من صندوق إلى صندوق في كنز ذلك النبيل. أحيانًا يخرجها ويتفحصها ويتفاخر بها، وأحيانًا أخرى تتنقل من يد إلى يد وهي تسمع عبارات الإعجاب، بلغ بها اليأس مداه فهي لن تستطيع الهروب.

لم تعرف كم بقيت على تلك الحال. وفي يوم من الأيام تغيرت الأحوال للأفضل، كان هناك خادم سيئ في منزل النبيل الذي طرده لسلوكه غير الأمين،

وقبل مغادرته سرق صندوقا يحتوي على خواتم كثيرة كان ذلك الخاتم من بينها. وذهب بالصندوق إلى شخص كان يشتري منه البضاعة المسروقة، وقام هذا الشخص بفصل الحجر عن الخاتم حتى يتمكن من بيعه لأي صائغ.

عندما شعرت الحصاة بالحرية لم تسعها الفرحة، لكن حريتها كانت منقوصة؛ لأن ذلك الشرير وضعها في جيبه وهو يفكر في بيعها في مكان ما. ذات يوم، بينما كانت زوجة الرجل تنفض الغبار عن عباءته سقطت الحصاة من النافذة في الشارع المزدحم.

في الشارع كان هناك شاب يدفع أمامه عربة عليها سلال من البازلاء الجافة في طريقه إلى السوق ليبيعها، وهو ينادي على بضاعته بصوت عالٍ ويقول "بازلاء جافة، بازلاء جافة، تعال واشتر".

ترى ماذا سيحدث ؟ استمع وسأخبرك.

في ذلك اليوم نفسه، أرسلت سيدة خادمتها لتشتري كيسًا من البازلاء الجافة وآخر من الفول لوجبة اليوم التالي. سقطت الحصاة في وسط سلة البازلاء الجافة. عندما وزن الشاب البازلاء للفتاة لم تلاحظ وجود الحصاة؛ فقد كانت مشغولة بالشاب ووسامته. عادت مسرعة إلى بيت سيدتها لأنها أمضت وقتًا طويلاً تتسكع في السوق. عندما وصلت كانت سيدتها تناديها وتطلب منها أن تضع الأكياس في الخزانة وتقطع الباذنجان لتجهيز طعام سيدها.

فى المساء، نقعت الخادمة البازلاء في وعاء به ماء والفول في وعاء آخر حتى الصباح. وفي اليوم التالي طبخت السيدة البازلاء مع البصل والأرز، طبق زوجها المفضل. ولكنه عندما تذوق الطعام لفظه من فمه بسرعة وصاح: "ما الذى

جاء بهذه الحصاة في اليخنة؟ ألم تغسلي البازلاء والفول قبل نقعهما؟ لقد أوشكت على أن أكسر سنة من أسناني؟"، تدحرجت الحصاة على الأرض، وانشغلت الزوجة بتهدئة الزوج الذي لم يجد أي حصاة أخرى في الطعام وأكمل أكله في هدوء.

ولكن ماذا عن الحصاة سيئة الحظ؟ لقد بقيت تحت الطاولة طوال الليل، وفي الصباح كنستها الخادمة مع باقي الغبار والقمامة خارج البيت. في منتصف النهار جاء البستاني وشرع في بناء ركن صخري في الحديقة تنمو فيه النباتات المزهرة بناءً على طلب سيدة المنزل. كانت تريده مصنوعًا من الأحجار الكثيرة الموجودة بجانب شجيرات الورد. وقع نظر البستاني على الحصاة ووضعها على قمة مجموعة من الأحجار الملونة ليصبح التكوين جميلاً في النهاية، وبجانب الحصاة من كل ناحية وضع البستاني النباتات المزهرة من النوع الذي ينمو في ثنايا الصخور في أعالي الجبال. كان يروي الحديقة الصخرية كل يوم، ومع أشعة الشمس بدأت النباتات في النمو والإزهار بكثرة حول الحصاة. أصبحت الحديقة الصخرية محل إعجاب الفتيات الصغيرات اللاتي أعجبن بعمل وفن البستاني. كانت الحصاة تنظر من مكانها بين البراعم النابتة وهى سعيدة؛ لأن أوراقها الخضراء اليانعة تحميها من حرارة شمس الظهيرة. كان الهدوء يعم المكان وصوت الماء في النافورة بجانب تعريشة الورد ينساب، ويذكرها بصوت الجدول بجانب الجبل في بيتها القديم. في الليل كانت ترى النجوم والقمر يكبر في السماء السوداء المخيفة، من هلال إلى قرص ممتلئ مستدير عندما يكتمل بدرًا. كانت تشعر بالسعادة.

كانت تقول لنفسها "لا مزيد من الترحال والسفر حول العالم. كفى تجوالاً، كفى من سير الجمال عليَّ، كفى الحبس، والسرقة، وابتلاع السمكة والاختباء في حذاء الدرويش، والقفز من النافذة والطهي في اليخنة. هدوء هذه الحديقة ما أحتاج

إليه فعلاً. أنا الآن بعيدة عن ظل تلك الصخور الرمادية المشاكسة التي كانت تعاملني باستعلاء وتنعتني بالغباء والجهل. كل ما كانت تفعله السقوط إلى أسفل التل. لن أعود أبدا لأكون خائفة مرة أخرى. لديّ الآن جبلي الصغير هنا وأنا على قمته بين الورد، يرعاني هذا البستاني. انتهت رحلاتي. إذا كان باقي العالم مثل ما سبق وشاهدت فلا أريد أن أمر بتلك التجارب المرعبة مرة أخرى، هذا قراري من صميم قلبي" .

بتلك الكلمات اقتربت أكثر من التربة الناعمة تحتها وغطت في سبات عميق في تجويف صغير، وحسبما أعرف فهي ما زالت هناك إلى اليوم. هناك مكان مثالي لكل شيء في هذا العالم، وقد وجدت الحصاة مكانها في النهاية.

الأفـــراس المفقودة

كان هناك رجل يُدعَى أكبر خان، يربي أجود الخيول في أفغانستان. ويحب الخيل أكثر من أي شيء أو أي كائن آخر، وكانت له شهرة واسعة طبقت الآفاق لأن أفراسه كانت سمينة وذات أجسام سنابية. واشترى سائس خيل الأمير له المهور، كما حبَّ جواده سيابوش كما لو كان ابنًا له.

ذات ليلة وبينما كان أكبر يغط في سبات عميق، تسلل اللصوص إلى الإسطبل وسرقوا ثلاثة من أجود أفراسه.

وسرعان ما اكتشف اختفاء الأفراس، وترك الإسطبل في رعاية سائس الخيل العجوز وانطلق على جواده بحثًا عنها.

وأقسم أكبر في نفسه قائلاً "حتى لو كان علي أن أذهب إلى أقصى بقاع الأرض سأجدها وأعيدها مرة أخرى". دعا له السائس بالقوة والصحة حتى لا يتعب من جراء ذلك البحث.

وسرعان ما تمكن من اقتفاء أثرها في الرمال وهو يشعر بسعادة غامرة، ويدعو الله أن يوفقه فى العثور على أفراسه بسرعة، ولكن اللصوص كانوا قد ابتعدوا بها ومروا على قرى كثيرة ومناطق زراعية. فلم يتمكن من اللحاق بهم. مر بقرية فأخبره أهلها أن رجلين وخمسة خيول مروا من هنا وهم في طريقهم إلى البلدة. عرف أكبر خان أن سوق الخيول كانت تقام هناك كل سنة. وبينما كان يقترب من البلدة قرر أن يربط جواده في شجرة بجانب النهر، وهو على يقين من

أن أحدًا لن يجرؤ حتى أن يفكر في سرقة جواده لحوافره القوية وأسنانه الحادة، ولأن الجواد لن يسمح لأحد بامتطائه ما عدا أكبر خان.

قال أكبر خان لنفسه "سأجدهم هنا بالتأكيد"، ثم سار ودلف إلى المقهى وشرب عدة أكواب من الشاي الأخضر، وكان يتلفت حوله عساه يجد أحدًا يعرفه هنا. كان يمني نفسه بلقاء شخص معين ليكون عونًا له في مهمته تلك؛ لأن سرقة الأفراس في أفغانستان أبشع جريمة.

في تلك اللحظة جلس صديق قديم بجانبه، وأخبره أكبر خان بسبب مجيئه إلى هنا، وهو يقول "لسوء الحظ فقدت أثرهم، ولكن ربما يكون ذلك هو المكان المناسب لاستئناف البحث. أتستطيع أن تخبرني بميعاد إقامة السوق؟ أشعر بأن أولئك الصعاليك سيحاولون بيع الأفراس قريبًا".

وقال الصديق "لقد جاء إلى المدينة في الليلة الماضية غريبان، وكان معهما ثلاثة أفراس من أجود الأنواع، ويركبان حصانين من نوع أقل جودة. آه يا أخي!"

سأله أكبر خان "أين ذهبا؟ هل وضعوها في الإسطبل؟"

قال الرجل "نستطيع أن نبحث في كل إسطبل هنا حتى يحين موعد السوق، ثم نبحث عنها هناك، ولكنني أخشى أن يكونا قد خبآها في مكان ما حتى لا ينكشف أمرهما قبل ميعاد السوق الذي يبدأ غدًا".

قال أكبر خان "لدي خطة. سأحضر جوادي إلى البلدة وسيجدها. دعنا نذهب حيث تركته ونرى ما عساه فاعلاً. فوالله لن أنتظر للغد".

عادا إلى ضفة النهر وتحدث أكبر في أذن الجواد.

لم يستطع الرجل الآخر سماع هذا الحديث، ولم يكن أكبر يريد ذلك على أية حال. فهم الجواد الأسود كل كلمة تحدث بها سيده وصهل عندما انتهى من حديثه. قفز أكبر خان على الحصان وأدار وجهته ليعود، عندما اقتربا من البلدة أسرع الحصان في العدو وتركا خلفهما صديق أكبر. كلما رآهما جمع من الناس كانوا يفسحون لهما الطريق حيث كانوا في بلدة تقدر قيمة الجواد الأصيل.

دخلا البلدة، وعندما اقتربا من سور خشبي يحيط بسياجه إسطبل أطل الجواد برأسه مرة ومرتين ثم أطلق صيحة كبيرة. توقف الجواد وصهل مرة أخرى. وراح ينبش الأرض برجله الأمامية اليمنى كأنه جندي مهاجم سمع صوت المعركة، ثم نبش الأرض بقدمه الأمامية اليسرى وحينها عرف أكبر خان أن ذلك مكان اختباء الأفراس. عندما سمع صوت صهيلها ردًا على صهيل الجواد، وحينها أدار الحصان وأعطاه الأمر بأن يرفس، بدأ الجواد في ضرب السور الخشبي الضعيف بحوافره الحديدية حتى تحطم باب الإسطبل. صهلت الأفراس عندما حررها أكبر خان واحدة تلو الأخرى.

جاء رجلان مسرعان ليريا ماذا يحدث وشعرا بانكشاف أمرهما، فقررا الهروب وهما يصرخان مثل الكلاب. اقتاد أكبر أفراسه إلى النهر وتركها تشرب، وتجمع أهل البلدة حوله لأن صديقه كان قد لحق بهم وأخبرهم بالقصة كلها. وتسابق الجميع ليستضيفوا أكبر خان إلى أن يعود إلى بلده مرة أخرى. عندما بحث أهل البلدة عن اللصين لم يجدوا لهما أثرًا، ولكنهم كانوا على يقين من أنهما سيلقيان جزاء فعلهما المشين، ولعنوهما لأن سرقة الخيل فعل مستهجن في أفغانستان.

عاد أكبر خان إلى داره ليعيش هانئا سعيدًا يتمتع بحظ وافر من السعادة، إلى أن حان موعد لقاء ربه الذي أدخله فسيح جنته.

اللــؤلؤة الثمينة

كان ملك أفغانستان بابار شاه قاهر الهندوسية جالسًا يكتب ذات يوم في مذكرة عندما دخل عليه أحد الوزراء وقال: "أيها الملك، ينتظرك مندوب من شيخ البحرين ومعه هدية قيمة من بلاد اللؤلؤ. فمتى ستقابله؟"

قال بابار شاه وهو ينحي أوراقه جانبًا "اسمح له بالدخول على الفور، وأحضر لنا طعامًا حتى نأكل سويًا، والشربات الحلو المحضر من عصير التوت والثلج حتى يجدد نشاطه بعد الرحلة".

بعد عدة ساعات وبعد أن أولموا للعربي أعطى الملك الرسول بعض الحلي من الأحجار، وبدوره وضع في يد بابار شاه لؤلؤة رائعة لا تقدر بثمن وهو يقول: "سيدي يطلب منك أن تقبل هذه الهدية تعبيرًا عن تقديره واحترامه وصداقته لك".

كانت اللؤلؤة من النوع الممتاز، لم يرَ الملك لها مثيلاً من قبل وسُرَّ أيما سرور بها، قدم هدايا كثيرة للعربي وطلب منه البقاء لعدة أيام أُخر قبل أن يشد الرحال.

شعرت الملكة بالغيرة من الملك لحصوله على تلك اللؤلؤة، وذلك لأنها كانت مغرمة بالمجوهرات خاصة اللؤلؤ. بدأت تفكر كيف يمكنها أن تحصل على اللؤلؤة. وأراد الملك أن تثبت اللؤلؤة في دبوس حتى يستطيع أن يلبسه، كان يشعر أنها ستجلب له الحظ السعيد لأنها جاءت في وقت كانت أحواله تسير فيه سيرًا حسنًا،

وكان البستانيون يعتنون بالحدائق التي صممها، كما كانت هناك أنباء سارة عن أحوال جيشه.

كان لدى الملكة كل ما يمكن أن تتمناه ملكة، كما كانت تعرف أن زوجها يحبها. كانت ملابسها ومجوهراتها حديث البلاط ومع ذلك كانت تريد لؤلؤة الملك. نامت في الليل وهي تخطط كيف يتسنى لها أن تحصل على اللؤلؤة، وتضعها في خاتم رائع وتحيطها أحجار الفيروز والياقوت من باداخشان، سيلفت انتباه الجميع ويحسدونها عليه. وأمضت الليالي وهي تتقلب في الفراش، وبدا عليها المرض والهزال حتى قلق عليها بابار شاه.

قال لها بلطف "ما بال خديك شاحبين يا عزيزتي، أتشعرين بالتعب؟ هل لديك حرارة؟ أخبريني لأني قلق عليك. ماذا يمرضك؟"

"لا، لا أنام جيدًا لأنني أكلت الكثير من الحلوى التي صنعتها لي وصيفتي العجوز؛ لهذا لا أشعر بأنني أنا. سأتوقف عن أكل الحلوى والملبن. إنها نهمي".

قبّلها بابار شاه على جبينها وخرج من جناح الحريم ليتابع شئون الحكم.

كان لدى الملكة أمَة ذكية لها مكر الثعالب. سألتها ذات يوم كيف لها أن تحصل على لؤلؤة الملك دون أن تثير غضبه.

اصطنعت المرأة ابتسامة وقالت "لديَّ طريقة يا سيدتي. عليك أن تطلبي طبيب البلاط ليصف لك لؤلؤة مسحوقة في مثل شكل وحجم لؤلؤة البحرين، ويعتبر هذا الدواء الوحيد لمرضك. أعطيه بعض العملات الذهبية وسيفعلها، ولن يبخل الملك عليك بها".

صاحت الملكة في سعادة "زامينا أنت كائن رائع. اطلبي طبيب الحريم في الحال وكيسًا من الذهب. إنه شخص عجوز أحمق. أحضرته معي من منزل أبي عندما تزوجت الملك. بالطبع سيطيعني. أستطيع أن أتظاهر بسحق اللؤلؤة في الهون وأشرب كوبًا من ماء البحر وأقول إنني أذبت فيه اللؤلؤة المسحوقة".

جرت الجارية زامينا وهي تضحك وكان لها أخ توءم أخبرته بالخطة، كان الولد من غلمان الملك ويدين له بالولاء والطاعة؛ لذا أخبر الملك بالقصة كلها. بعد أن سمع الملك القصة ضحك وضرب على رجله وقال: "إنها فرصة جيدة. كيف لك أن تنجو من كيد النساء سواء أكنت ملكًا أم عبدًا، احفظ السر ولا تخبر أحدًا لأنني سأقوم بدور في هذه القصة".

لبى الطبيب الهرم ذو اللحية الرمادية طلب الملكة، وذهب إلى الملك ليخبره بأن لؤلؤة البحرين هي الدواء الوحيد لعلاج داء الملكة. وافق بابار شاه وأخرج اللؤلؤة من جيبه وأزاح عنها قطعة الحرير التي تلفها، وقال "بالطبع خذها وقدم الدواء لسيدتي المحبوبة. لن أحرمها شيئًا أيها الطبيب الطيب، ولكن انتظر بدلاً من أن تتعب نفسك في سحق اللؤلؤة سأقوم بذلك بنفسي. أنا على علم بمهارات الصيادلة كما تعرف. اذهب وأحضر أفضل هون لديك".

جلس الملك في انتظار تنفيذ أمره وهو يمسك على لحيته بيد متأنية ليخفي الابتسامة على شفتيه. كانت الملكة تراقب ما يحدث من وراء نوافذ جناح الحريم واعتراها يأس كبير، وشعرت أنها ستفقد اللؤلؤة، وذهبت وهي ترتدي نعلها المطرز بالذهب لتضرب الجارية زامينا التي اقترحت تلك الخطة الحمقاء. ماذا تفعل لتنقذ اللؤلؤة من السحق؟ رأت الطبيب الهرم عائدًا بالهون، ورأت أصابع بابار شاه القوية وهي ترمي بشيء أبيض لامع في الهون، كما رأته وهو يطحن

ويسحق اللؤلؤة بلا كلل أو تعب حتى تحولت إلى مسحوق. وأخيرا اكتفى الملك بتلك النتيجة وطلب كأسًا من الكريستال ووضع فيها المسحوق ثم أضاف إليه الحليب وقلّبه ببطء. أرسل في طلب الملكة وقدمه إليها بيديه الاثنتين وهو يبتسم قائلا "والآن يا عزيزتي أدعو الله لك بالشفاء".

تجرعت الملكة الخليط بابتسامة ونشيج في آن واحد، ودون أن ترفع عينيها عادت إلى جناح الحريم. بعد ساعة، ذهب إليها الملك ليجدها ممددة في الفراش شاحبة وحزينة. رفع يديها الباردتين قرب شفتيه وقال برقة "خداك شاحبان مثل زهور السوسن مرة أخرى يا حبيبتي، ولكن حرارتك تحسنت بفضل الدواء"، انتحبت ولكنها لم تجرؤ على فتح عينيها؛ ثم ضحك وهو يقول، "لقد ابتلعت لوزًا مطحونًا وليس لؤلؤة البحرين. ها هي اللؤلؤة التي طالما تمنيتيها، خذيها هدية مني، وأريني ابتسامتك مرة أخرى. وافعلي بهذه اللؤلؤة الثمينة ما تشائين".

العفريت والخبيئة

شتاء أفغانستان طويل وبرده قارس. يتساقط الثلج من نهاية أكتوبر حتى أوائل مارس، وتجد فهود الجليد في هذا التوقيت بالذات متعتها في سلاسل الجبال الموحشة. فراؤها الأبيض المرقط السميك يمنحها الدفء كما تبرع في فنون الصيد؛ لذا تعيش مثل الملوك في عظمة في برد الشتاء القارس.

وذات يوم منذ زمن بعيد كان الثلج يتساقط بغزارة على الأرض، والكتل الجليدية تتدلى من فروع الأشجار. تسلل صياد فهود يُدْعَى حيدر خلسة بين شجيرات كثيفة عند سفح الجبل خلف فهد رائع الجمال، قد اقتفى أثره لساعات. كان حيدر أحد أشجع وأذكى الصيادين في المملكة التي حباها الله بموارد كثيرة. كان أخوه الأكبر صياد وعول معروف، لدرجة أنه كان يزين جدران منزل والده بالكثير من قرون الحيوانات التي قام باصطيادها. كان منزل والديه عبارة عن مبنى من خشب الجوز القوي، على منحدرات الجبال. وكان الفراء الذي يأخذه حيدر من الفهود التي يصيدها يغطي الأرض في جناح والدته، وكانا دائمًا في تنافس مع بعضهما. في ذلك اليوم لمح حيدر الفهد مرات عديدة، وفي كل مرة يوشك أن يطلق النار عليه، يختفي في آخر لحظة، ولكن آثار الحيوان بدت واضحة على الثلج.

تقدم حيدر بحذر. كانت هناك بعض الصخور الضخمة بالقرب من مكانه وأدرك أن الحيوان ربما يكون قد وجد مأوى بينها. كانت هناك فتحة مظلمة في

المنحدر المغطى بجلمود كبير شاهده بعد أن عبر منطقة الشجيرات الكثيفة وزحف بالقرب منه. داخل الكهف شم رائحة طيبة كتلك التي يتركها الفهد وراءه لتدل على منطقة مروره. تقدم حيدر بحذر شديد وهو يزحف كأنه دودة.

أخيرًا دخل ودهش حين وجد أنه عثر على خبيئة حقيقية، على كنز دفين وليس على مخبأ لفهد. بدأت عيناه في الاعتياد على الإضاءة الخافتة داخل الكهف واستطاع أن يرى صناديق حديدية، كان بعضها مفتوحًا وتظهر بداخله عقود من اللؤلؤ وخناجر وأغمدة مرصعة بالجواهر وحلي ذهبية أخرى. نسي حيدر - الذي لم يكن يصدق عينيه - أمر الفهد ورمى البندقية من يده، وبدأ في تفحص محتويات الكنز صندوقًا تلو الآخر. كان كلما فتح واحدًا وجد بداخله أشياء أكثر جمالاً.

صاح حيدر وعقود الياقوت واللؤلؤ والألماس تتساقط من يديه "هذا أعظم كنز في العالم. من عساه يكون صاحب هذا الكنز الرائع؟" .

جاء صوت من أعماق الكهف، صوت عال ومجلجل "هذا الكنز لي أيها البائس، كيف وانتك الجرأة على أن تدخل كهفي دون استئذان؟"، وقفزت أمام حيدر شعلة من نار أعمته، وأعطت كل المجوهرات والذهب في الكهف بريقًا أخاذًا. لم يكن حيدر يرى شيئًا سوى نار الشعلة التي كانت تتوهج أكثر فأكثر.

قال حيدر وهو يتوقع رؤية جني أو عفريت عملاق يدق عنقه بهراوة ضخمة "معذرة، لم أقصد أن أسرقك، صدقني. لقد جئت إلى هذا الكهف بالصدفة. أقسم لك لقد كنت أتعقب آثار فهد ثلجي".

صدرت ضحكة عالية من أكثر المناطق ظلمة في الكهف، وحين تصاعدت ألسنة اللهب أكثر تمكن حيدر من رؤية روح شريرة، كان العفريت يقترب منه

وعينـــاه على وشـــك أن تخرجا مـــن مقلتيهما ورأســـه الأصلـــع. كان يرتدي معطفًا وحذاءً من الجلد، وعلى الرغم من ضآلته بدا شريرًا يكسو وجهه الغضب والحنق.

زمجر العفريت قائلاً "أيها البائس، ذلك فهدي الخاص لو لمست شعرة من شعره لدفعت حياتك ثمنًا لذلك. إنه حارسي الخاص، لو مددت يدك عليه سأجعله يقطعك قربًا قربًا".

قال حيدر وهو يحاول أن يستجمع قواه "لا! لن أؤذيه ما دام حارسك الخاص". كان يفكر في أن يجري ليخرج من ذلك المكان بأسرع ما يمكن، ولكن شيئًا ما ثبته في مكانه بينما كان العفريت يقترب أكثر وأكثر. تلعثم قائلاً "سآخذ بندقيتي وأمضي في طريقي".

زاد غضب العفريت وهاج وماج قائلاً "لن تستطيع أن تذهب الآن بعد أن اكتشفت كنزي، يجب أن تبقى هنا لتخدمني. لقد توفي خادمي السابق وليس لديَّ خدم الآن لتلبية أوامري. سأحتفظ بك إلى الأبد"، وأخذ بندقية حيدر وألقى بها في النار التي أتت عليها.

ثم أكمل وهو يحدق في عيني حيدر الذي تملكته الرغبة في العدو سريعًا "الآن اتبعني إلى الكهف الداخلي". وجد حيدر نفسه وكأنه مشدود ومنوم مغناطيسيًا أمامه، كأنه أرنب أمام ثعبان. تبع العفريت إلى داخل الكهف الذي كانت تضيء حوائطه مشاعل من النار.

كان الفهد الضخم الذي تبعه حيدر قابعا على سجادة صغيرة ينظف فراءه المرقط ويبدو أليفًا كقط، ولكن حيدر أيقن أن إشارة واحدة من العفريت لهذا الفهد كفيلة بأن تجعله يفترسه في التو واللحظة. في أحد جوانب الكهف كان هناك سرير

من الجلد، ومن كوة أعلى الصخرة التي اسود لونها من الشعلة، كان الدخان يخرج من خلال مدخنة طبيعية في المنحدر الجبلي خارج الكهف.

قال العفريت لحيدر متباهيًا "كل الصناديق في هذه الحجرة مليئة بالعملات الذهبية. ما رأيته في الخارج لا شيء بالنسبة لما أمتلكه هنا"، وأشار إلى صناديق عديدة موصدة بأقفال من النحاس الذي كان يلمع في ضوء النار، "الآن اجلس هنا أيها العبد، وسأملي عليك أوامري. أريد أن تخرج وتجمع الحطب للنار هنا، ثم تطهو طعامي وتنظف الأرض، ثم تحضر ثلجًا في هذه الدلاء وتسخنه على النار كي يكون لديَّ ماءً أضعه في هذين البرميلين. لن تستطيع الهرب لأنني نومتك مغناطيسيًا أيها العبد، وستفعل ما تؤمر. في الليل، ستنام في كهف ثالث أصغر من هذين الكهفين حيث ستجد سريرًا من الجلد، وسأناديك حين أحتاجك في الصباح لتحضر لي الطعام والشراب".

فعل حيدر المنوم مغناطيسيًا كما أمره العفريت. مر يوم وليلة وحيدر في حالة استسلام وخنوع تام للعفريت الكريه؛ وفي المساء عندما كان في الكهف الصغير، سمع العفريت وهو يعد العملات مثل البخيل، ويضحك لنفسه ضحكًا شريرًا. أيقن حيدر أن موقفه لا أمل فيه، وأنه لن يتمكن من الهرب، وبعد أيام قليلة ستظن عائلته أنه مات أو قتل على يد حيوان متوحش أو سقط في هوة جليدية.

ولكن العفريت لم يخبر حيدر بأن قوته على التنويم المغناطيسي تكون فعالة وهو في حالة اليقظة فقط. في الليلة التالية، جهز حيدر الطعام وقدم للعفريت وجبة المساء وأكل هو القليل، وعندما خبت النار تسلل من كهفه وأرهف السمع وكان العفريت يغط في سبات عميق ويصدر شخيرًا عاليًا. هل يهاجمه الفهد إذا همّ بالفرار؟ وجد حيدر أن عليه أن يبذل جهدًا ليهرب.

استجمع كل قواه وأحس فجأة أنه تحرر من تنويم العفريت، على الرغم من عدم قدرته على الفكاك منه في الصباح. لم يجد الفهد على سجادته الصغيرة في الركن حيث اعتاد أن ينام بجوار سيده. استطاع حيدر أن يرى طريقه في ضوء الشعلات. كان يتمنى أن يستمر العفريت في نومه وألا يستيقظ حتى لا ينومه مرة أخرى!

انتعل حذاءه وهو خائف من أن يسمع صوت تنفسه وخرج إلى الكهف الأول. لم يكن هناك أثر للفهد الثلجي. أخيرًا وجد نفسه على أعتاب الحرية في مدخل الكهف. دعا الله أن يحميه وهو يرى ضوء القمر ينعكس على الثلج بالخارج. لم يستطع مقاومة نفسه فأخذ عقدًا من الياقوت وهو في طريقه إلى خارج الكهف. إنه حقًا تذكار عجيب لهذه التجربة المرعبة. أيقن أنه بدون دليل كهذا لن يصدقه أحد، وكان يشعر أن من حقه أن يأخذ شيئًا مقابل بندقيته التي دمرها العفريت.

في ضوء القمر عاد من بين الشجيرات التي رأى عندها الفهد أول مرة، وتمنى ألا يقابله الفهد مرة أخرى وهو بدون سلاح. كان طريق العودة للبيت طويلاً، وبحاسة الصياد الماهر تمكن من أن يتجنب الحيوانات. كان لا يزال معه خنجر قد يكون مفيدًا إذا ما قابل حيوانًا وجهًا لوجه. لكنه تمنى ألا يحتاجه أبدًا.

أضاء القمر له الطريق، ولكن بعد أن سار مسافة طويلة شعر بالتعب والبرد فتسلق شجرة جوز متشعبة لينام حتى طلوع الفجر. عندما استيقظ، لفَّ نفسه بالمعطف المصنوع من الفرو، وابتسم حين تحسس عقد الياقوت في جيبه، هدية رائعة لوالدته، ولكن هل ستصدقه؟ تذكر العفريت الشرير وشعر بالخوف فقرر أن يستأنف المسير حتى يصل إلى بيته في أسرع وقت ممكن، وإلا أرسل العفريت

الفهد وراءه ليقتفي أثره. كان الثلج قد بدأ يتساقط بكثافة عندما وصل في النهاية لمنزل أبيه وقد أعياه التعب والجوع.

دخل من الباب وهو يترنح من التعب ويشعر بالبرد في أوصاله. الفرحة التي رآها على وجه أبيه وأخيه، ودموع أمه السعيدة بعودته حمته من الانهيار. قدموا له الحساء الساخن وغطوه بالأغطية الوثيرة لكي تبعث في أوصاله الدفء، وأجلسوه بجانب النار ليقص عليهم ما حدث.

كان يرى في عيونهم استنكارًا لما حدث فقد كانوا يظنون أن حكايته خيال في خيال، أو أنه قد فقد توازنه بعد أن ضل طريقه طوال هذه الفترة في الصقيع. سعدت أمه بعقد الياقوت، ولكن عائلته ظنت أنه ربما يكون قد سقط من سيدة غنية منذ زمن بعيد، وأن حيدر قد وجده وهو مختبئ في الكهف أثناء العاصفة الثلجية. شكروا الله على عودته وتفهموا الحالة التي هو عليها من جراء ما حدث له.

اعترض حيدر وقال لأخيه "تعال معي، سآخذك هناك، وسترى بنفسك صناديق الكنز. لو ذهبنا معًا يمكن أن نقتل هذا المخلوق الكريه، وأستطيع أن أقتل الفهد الذي يحرسه بالبندقية، وحينها ستصبح أغنى رجل في العالم".

نظر إليه أخيه في دهشة وأطلق ضحكة عالية وقال "لقد فقدت عقلك يا حيدر. لست مقتنعًا بهذه المغامرة، إنها خطرة جدًا. هذه المخلوقات يمكن أن تأخذ أشكالاً مختلفة. لا، لا! انسَ هذا الأمر برمته، ولكن أخبِر أصدقاءنا في المقهى، من المؤكد أنهم سيستمتعون بقصتك فهي أفضل قصة صياد سمعتها في حياتي".

وكما تنبأ الأخ أصبحت قصة حيدر حديث الناس الذين اهتموا بسماعها، ويقال إن كثيرًا من الرجال ذهبوا للبحث عن كهف حيدر وكنزه، ولكن لم يعثر

عليه أحد. ذهب حيدر بنفسه مرات عديدة في الاتجاه نفسه، لكنه لم يستطع أن يصل إلى المكان الذي كان فيه الكهف الغامض ووقع فيه تحت سيطرة العفريت، وتمنى بعد ذلك لو أنه وجد صناديق اللؤلؤ والخناجر المرصعة بالجواهر والحلي الذهبية، دون فائدة.

بمرور الوقت اقتنع الجميع أن العفريت كان أحد خدم الملك سليمان بن داود، ولن يتمكن أي إنسان من رؤية الكنز المخبوء مرة أخرى؛ وبالفعل كانوا على حق فلم يعثر عليه أحد في أفغانستان إلى يومنا هذا.

الجــدة المتذمرة

كان يعقوب خبازًا يدير عمله الخاص الذي ورثه عن والده، وقرر في أحد الأيام أن يتزوج. كان شابًا قويًا يتكسب جيدًا من عمله؛ لذا لم تجد الخاطبة صعوبة في أن تجد فتاة جملية تناسبه من بين بنات البلدة.

كانت العروس، واسمها مجيدة، حزينة يوم الزفاف لأنها علمت أنها لن تعيش في بيت الزوجية بمفردها؛ كانت جدة يعقوب ما زالت تعيش معه في البيت. توفيت أمه بعد أبيه بقليل وأخذت جدته، الأرملة، مكانها وراحت تعطي الأوامر للخادمة وتدير شئون البيت. كانت دائمًا ما تشتكي من شخص ما أو شيء ما وتزعج مجيدة طوال اليوم، ولكن ليس أمام حفيدها. كانت أذكى من أن تفعل ذلك.

وبعد أن مكثت مجيدة بضعة أيام في بيت زوجها تأكدت كراهيتها لجدته، لدرجة أنها كانت تضع يديها على أذنيها لكي لا تسمع شكواها وتذمرها. لم يكن يعقوب على علم بالمشاكل التي تفتعلها جدته لأنه كان مشغولاً في عمله ليلاً؛ كي يتمكن من بيع الخبز في اليوم التالي. أول وجبة طهتها مجيدة لاقت استحسان زوجها، إلا أن جدته عندما تذوقتها امتعضت ورفعت عينيها للسقف وهي تهز رأسها ذات اليسار وذات اليمين؛ لذا لم يكن يُسمح لمجيدة بطهي حتى أبسط الوجبات التي كانت تتقنها، وسرعان ما استسلمت وأفسحت الطريق أمام تلك العجوز الشمطاء لتتحكم فيها.

ذات يوم ذهبت مجيدة إلى السوق لتشتري بعض القماش لعمل ستائر جديدة، وعادت به منتصرة بعد جولة موفقة مع بائع القماش. وعندما سألت مجيدة الجدة عن رأيها، تحسسته المرأة بأصابعها وهزت رأسها ممتعضة.

لم تكن مجيدة تريد أن تشكو الجدة المسنة لزوجها إكرامًا لكبر سنها، ولأنه كان يُكن لها كل تقدير واحترام، وكانت الجدة تخبر يعقوب أنها تدرب زوجته على فن إدارة المنزل. كان يصدقها وكثيرًا ما يقول لمجيدة إنها محظوظة لأن الجدة تقيم معها لتعلمها من خبرتها الحياتية الطويلة.

كانت مجيدة ماهرة في فن التطريز فقد حاكت العديد من القمصان لوالدها وأخواتها قبل أن تتزوج، ولكن تطريزها لم يكن يعجب الجدة. ذات يوم سألت مجيدة الجدة عما طرزته من أساور قميص ليعقوب: "ما رأيك في هذا القميص القطني الذي أحيكه ليعقوب؟"، وبعد أن تفحصته الجدة هزت رأسها يمنة ويسرة ممتعضة كالعادة. جرت مجيدة باكية إلى المطبخ وواصلت بكاءها في حجرتها بمفردها، ثم ارتدت الشادور الذي يغطيها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، وذهبت إلى منزل صديقة لها يبعد بضعة شوارع عنها.

قالت المرأة "عزيزتي ما خطبك؟ هل ضربك زوجك؟ كنت أظنه رجلاً عاقلاً مهذبًا وطيبًا. أخبريني بكل شيء". أخبرتها مجيدة بالقصة كلها وقالت وهي تبكي: "لا أستطيع الاستمرار في العيش تحت السقف نفسه مع هذه الحيزبون. يجب أن أعود إلى منزل أبي. كل ما أقوم به لا يعجبها مهما حاولت. لن يصدقني يعقوب لأنها لا تفعل ذلك أمامه".

قالت لها صديقتها، "كفاكِ قلقًا. أعرف ما ينبغي عليك أن تفعليه، أنت تحتاجين مساعدة شخص اعتاد على مثل هذا النوع من المشكلات. تعالي معي،

سآخذك لزيارة الساحرة كوفتارا، كل من لديه مشكلة يذهب إليها". وذهبتا معًا إلى منزل صغير بعيد، ودقتا الباب فردت الساحرة بصوت حاد وهي تتطلع من النافذة: "من بالباب؟"، ورأت وجهي المرأتين وتذكرت وجه صديقة مجيدة باعتبارها زبونة قديمة، وفتحت الباب على الفور. كان لها وجه طويل ورفيع وعينان سوداوان وأنف طويل وشعر أبيض في بياض الثلج، وكانت ترتدي الخواتم في كل أصابعها، والكثير من الأحجبة حول رقبتها.

قصت مجيدة قصتها واستعطفت الساحرة أن تساعدها وهي تقول "سأدفع لك ما تريدين، فلدي بعض المال هنا".

أجابت الساحرة برقة "لا تقلقي يا صغيرتي، لن يكلفك ذلك كثيرًا. سأنظر في خزانتي لأجد شيئًا يناسب حالتك". ذهبت بعيدًا وأخذت تفتش في خزانة خشبية مرسوم عليها طيور ووحوش غريبة.

"آه نعم، ها هي"، كانت زجاجة صغيرة بها سائل يميل إلى الخضرة، وكانت عيناها تضحكان وهي تضع الزجاجة في يد مجيدة وتقول: "ضعي هذا السائل في حساء الجدة وهو سيؤدى المهمة. لن تسبب لك أي متاعب بعد الآن".

دفعت مجيدة للساحرة ما أرادت وعادت مع صديقتها مسرعتين. وهمست مجيدة لصديقتها "لا أريد أن أقتل المرأة، فبصرف النظر عن كل شيء، هي من تبقت من عائلة زوجي على قيد الحياة، وضميري لا يسمح لي بذلك". أوقفتها صديقتها وقالت "لا. الساحرة لا تقتل أحدا، إنها تقوم بعملية تحويل فقط، وقد قامت بأعمال رائعة وساعدت أناسًا كثيرين من قبل، ونحن دائمًا ما نستفيد منها".

بعد أن هدأت شكوكها ذهبت مجيدة للبيت وتحينت الفرصة لتقوم بالمهمة. لم تنتظر طويلاً حيث نادتها الجدة بعد أن عادت لتوها من الخارج، "أين كنتِ كل هذا الوقت؟ أسرعي وأحضري لي طبق الحساء الذي صنعته هذا المساء، أشعر بالجوع وحفيدي العزيز لن يعود مبكرًا الليلة لذا سأتعشى الآن".

وضعت مجيدة قدر الحساء على الموقد لتسخِنها لأنها كانت تعرف أن الجدة تفضله ساخنًا جدًا. ثم أفرغت الزجاجة في الحساء. وبَّخت الجدة مجيدة لأنها تأخرت في إحضار الحساء: "ألم أقل لك إنني جائعة؟ اذهبي مرة أخرى وأحضري لي بعض الخبز لأضعه في الحساء. لقد صنعته اليوم بنفسي على طريقتي الخاصة، لا تقفي أمامي هكذا تتلكأين. أسرعي"، وراحت تأكل الحساء بنهم.

جرت مجيدة لتلبي طلب العجوز. "كم سيأخذ هذا الترياق الذي أعطته لي الساحرة من وقت حتى يظهر مفعوله؟"، كانت مجيدة متشوقة لتعرف ما سيحدث جراء ذلك. أخذت أحد الأرغفة الطازجة التي يصنعها زوجها، وقطعته قطعًا صغيرة وصعدت مرة أخرى وهي تتمنى أن تكون الجدة ما زالت على قيد الحياة. لو ماتت فستتهم مجيدة في هذه الجريمة. عندما صعدت السلم لم يكن هناك أي أثر للجدة. كان الطبق فارغًا والملعقة ملقاة على السجادة. نادت مجيدة بصوت متهدج "جدتي، جدتي... أين أنتِ؟"، وما من مجيب. لا يوجد لها أثر على السرير أو تحته. ماذا حدث؟ هل سقطت من النافذة؟ هل سقطت من الشرفة بسبب سورها الخشبي الضعيف؟ جرت نحو النافذة ونظرت، لا يوجد شيء غير عادي في الشارع، والناس يسيرون في طريقهم في هدوء يحملون الحطب أو البضائع من السوق.

أغلقت مجيدة النافذة وأسدلت الستارة وأخذت الطبق والملعقة لتغسلهما حتى يأتي زوجها ويطلب العشاء. رمت الزجاجة الصغيرة في أبعد مكان في الحديقة

وغسلت يديها حتى لا يكون الدواء قد علق بهما، عندما عاد زوجها كان الحساء جاهزا مع خثارة الجبن والخبز الطازج.

سألها يعقوب وهو يشرب طبقًا ثانيًا من الحساء: "أين جدتي يا عزيزتي؟". كان يشعر براحة كبيرة لأن الجدة لم تكن في المطبخ، ولأنه كم تمنى أن يكون بمفرده مع زوجته. فقد بدأ يلاحظ مدى سيطرة الجدة على مجيدة وتصيدها الأخطاء لها، وضايقه ذلك لدرجة أنه تمنى لو أنها ماتت في الوقت نفسه الذي مات فيه جده.

أجابت مجيدة "لا أعرف أين هي، لم أرها منذ ساعات"، وما قالته صحيحًا، فقد لاحظت أن الجدة اختفت بعد تجرعها الدواء في الحساء، لكنها لم تخبر زوجها عن زيارتها للساحرة مع صديقتها. سيظل ذلك سرها إلى الأبد.

أبلغ يعقوب الشرطة باختفاء جدته ولكن أحدًا لم يرها بعد ذلك. اعتقد بعض الجيران الذين يعتقدون بالخرافات أن جنيًا قد أخذها، وبعد قليل نسي الجميع أمرها ومارس كل فرد حياته بصورة طبيعية. كان الخباز في قمة سعادته؛ عاش مع زوجته في منزل الزوجية بمفردهما أخيرًا في هدوء ووفاق.

ولكن مجيدة عرفت ما حدث، فقد كانت تلاحظ دائمًا وجود سحلية خضراء صغيرة في شرفة حجرة النوم، تخرج لسانها وتهز رأسها يمنة ويسرة وتصدر صوتًا غريبًا في امتعاض قبل أن تدخل مرة أخرى في شق في الحائط.

الفتاة ذات القلب الزجاجي

كان يا ما كان في سالف الزمان، نبيل يُدعَى أحمد خان وكان يملك فدادين كثيرة من الأراضي وخيولاً ممتازة، وله أربعة أولاد، ولكن شيرين ابنته كانت هي قرة عينه. وأغدق عليها حتى أصبحت سيئة الخلق متعالية لدرجة أن أحدًا لم يكن يحب أن يكون برفقتها.

كانت أمها تقول لها إنها أنانية وتافهة، وتنبأت لها وصيفتها بحظ غير سعيد، كما كان إخوتها الأربعة يسخرون منها بلا رحمة آملين أن يعدل ذلك من سلوكها. في كل مرة كانت تريد شيئًا ولا يلبى طلبها تسرع إلى والدها وترجوه بعينيها البنيتين الساحرتين، وعلى الرغم من ذلك لم تكن سعيدة، إذ ما قيمة الإنسان إذا كان بلا قلب رحيم يحس ويشعر؟

ذات يوم عندما كانت شيرين في السابعة عشر من عمرها، ارتأى والدها أنه قد آن الأوان أن تتزوج، فبعث برسائل لكل أصدقائه وأقاربه يدعوهم لحفل كبير يحضرون إليه أولادهم الذين كانوا في سن الزواج. لبَّى الأصدقاء والأقارب الدعوة وأقاموا عنده عدة أيام يحتفلون معًا، ويصطادون طيور الحجل والوعول في الجبال، وهم يتمنون أن يلقى واحدًا منهم القبول في عيني أحمد خان ويجد فيه زوجًا مناسبًا لابنته الحبيبة.

كانت شيرين عنيدة ومتصلبة الرأي كالعادة عندما أخبرتها والدتها أن الخطاب في الحفل، فقالت لأمها ممتعضة "ومن هم بالنسبة لي؟ لقد ألقيت النظر عليهم جميعًا وهم يأكلون مع والدي، ولم يعجبني أيًا منهم".

قالت أمها، "يا طفلتي العزيزة إنهم أفضل وأغنى شباب في البلاد، وكل ما عليك فعله اختيار واحد منهم فقط، وكما تقولين فقد رأيتهم جميعًا، وكل واحد منهم يعرف أنك ستختارين واحدًا من بينهم في غضون الأيام القليلة المقبلة".

قالت شيرين وقد نفد صبرها وهي تضرب الأرض بقدميها "أمي، لا أحب أيًا منهم، وأتمنى أن يغربوا عن وجهي كلهم".

انزعجت والدة شيرين من كلام ابنتها وتركتها وهي غاضبة. اقتربت منها الخادمة لتسألها عن ترتيبات الوجبة المقبلة وذهبا سويًا إلى المطبخ. جلست الفتاة على وسادة مخملية على الأرض تلعب في ضفائرها بعصبية، وسألت نفسها لماذا يريدون أن يزوجوها! كل ما تحتاجه في الحياة يوفره لها والدها، كانت تعرف ذلك جيدًا. لِمَ لا يستمر ذلك الوضع إلى الأبد؟ ما حاجتها إلى زوج تافه؟

في تلك اللحظة أظلمت الغرفة لتظهر أمامها سيدة جميلة نحيفة ذات طلة مشرقة، ترتدي ملابس هفهافة من الحرير الأخضر المرصع بالزمرد، وقالت لها بصوت رقيق وكأنه صوت النسيم وهو يداعب أغصان الشجر في الربيع: "شيرين، يجب أن تتزوجي حتى تُسعدي شخصًا آخر. إنك لا تستطيعين ولا يجب أن تعيشي بقية عمرك في منزل والدك. هذا غير صحيح، يجب أن تبدأي حياتك السعيدة في بيت زوجك الذي تختارينه".

أجابت شيرين في عناد وتحدٍ "ماذا؟ زوج؟ أين هو؟ لا أرى أحدًا يروق لي".

قالت المرأة الجميلة "يا عزيزتي أنتِ عمياء إذًا. هناك واحد .. واحد فقط يحبك جــدًا جــدًا، سيقــدم لك كل ما يقــدمه لك والدك وربما أكثر، سيجعلك أسعد إنسانة".

وقفت شيرين ونظرت خارج النافذة حيث أشارت المرأة. كانت الحجرة مظلمة، ولكن كان هناك في الحديقة، في ضوء الشمس الساطع، شاب وسيم يرتدي حذاءً جلديًا طويل الرقبة وبنطالاً قصيرًا ومعطفًا مخمليلاً موشى بالحرير الملون، ويرتدي كذلك طاقية من الفرو، وكان يتحدث مع سائس أحضر له حصانًا رمادي اللون كبيرًا ذا ذيل أبيض ناصع كبياض الثلج.

قالت المرأة الملائكية وهي تختفي شيئًا فشيئا: "هذا هو زوج المستقبل، واعلمي يا حبيبتي أن ليس لك غيره في العالم كله، فحكمي عقلك وإلا ستخسرين سعادتك للأبد".

واختفت المرأة فجأة، تمامًا كما ظهرت.

أضيأت الغرفة مرة أخرى وعندما عادت والدتها وجدت شيرين جميلة جدًا، وعرفت بزيارة إحدى الجنيات لها ولكنها لم تكن تريد أن تخبر أمها بتفاصيل ما حدث. نظرت خارج النافذة مرةً أخرى، ولكن الشاب الوسيم كان قد امتطى جواده وانطلق بعيدًا، بدأت تشعر بميل نحوه وقد أسعدتها فكرة كونه يستطيع أن يوفر لها أكثر مما يعطيها والدها.

في اليوم التالي كان هناك تجمع كبير في قاعة الطعام، كانت شيرين تقف بجانب أمها وخالاتها وعماتها وبقية أقاربها وهم يشرفون على الوليمة الكبيرة،

بينما كان الخدم يهرولون هنا وهناك يضعون أطباقًا كثيرة من الأرز المتبل بالبهارات واللحم والفاكهة اللذيذة أمام الرجال، تابعت شيرين الشاب الذي تنبأت الجنية بأنه سيكون زوجًا لها.

كان الخاطب الولهان يتناول كل ما يقدم له من طعام باستمتاع شديد وهو دائم الابتسام، وقد أعطى ذلك الفرصة لشيرين لكي تتأمل ملامحه. كان قوي البنية ولكنه ليس ضخمًا، وعريض المنكبين وجسمه متناسق. له عينان كبيرتان حانيتان وأنف قوي كمنقار صقر وفمه كبير تعلوه ابتسامة. كل حركاته سريعة ومتسقة.

بعد الحفل جلست النسوة معًا وبدأن مناقشة الخُطّاب، وعندما سألت شيرين عن الشاب الوسيم الذي رشحته لها الجنية عرفت أن اسمه نادرجان. وفي اليوم التالي عندما سألها والدها عن اختيارها كانت إجابتها نادرجان.

سُر أحمد خان أيما سرور لأن نادرجان كان المفضل لديه زوجًا لابنته، وقال "شيرين يا نور حياتي لقد أحسنتي الاختيار. ستكونين زوجةً سعيدةً لأن هذا الچان طيب ووسيم ومن عائلة كريمة مثل عائلتنا. فليباركك الله. سنبدأ مراسم الزواج على الفور".

وبعد عدة أسابيع تزوج العروسان، ووفقًا للعُرف أخذ العريس عروسه إلى منزله وبلدته ليعرفها على أهله.

في البداية كانت شيرين مدللة من قبل أهل زوجها كما كانت لدى والدها، ولكن بعد مرور شهر أو شهرين عندما بدأت أن تكون مشاكسة ومتقلبة المزاج، قام زوجها بتوبيخها للمرة الأولى.

قال نادرجان بقسوة "أنت الآن امرأة متزوجة يا عزيزتي، من الأفضل لك أن تتصرفي وفقًا لذلك، وليس كفتاة صغيرة تافهة مغرورة". ثم تركها وهي تحدق في المرآة وتحرك رأسها وضفائرها بعصبية في كل اتجاه. بعد خروجه مباشرة أظلمت الغرفة ورأت شيرين الجنية الجميلة بملابسها الحريرية الخضراء المرصعة بالزمرد. كانت تتكلم بصوت غريب كأنه صوت الريح وهي تغني في أوائل الربيع، "عزيزتي شيرين لقد أصبحت الآن زوجة شاب وسيم ساحر كما أخبرتكِ تمامًا، فلِمَ أنتِ حزينة؟ ولِمَ تجعلين زوجك حزينًا؟ أخبريني بكل شيء وسأحاول أن أساعدك".

تأملت شيرين وجهها وشعرت بشعور غريب، وقالت وهي تنتحب "لا أعرف، ولكنني لا أشعر بأي عاطفة تجاهه. ظننت أنه سيقدم لي كل شيء كما كان يفعل أبي وكما وعدتني أنتِ، ولكنني في كل مرة أحاول أن أبحث عن السعادة ولا أجدها". اقتربت الجنية وربتت على صدر شيرين بعصاها الفضية السحرية، فخرج صوت كالرنين، ثم قالت الجنية "أعرف الآن المشكلة، إن لك قلبًا من زجاج، فلا عجب من أنك لا تشعرين بشيء تجاه زوجك. يجب أن نفعل شيئًا حيال هذا، وأخشى ألا يكون ذلك سهلاً".

بكت شيرين وقالت "قلبي من زجاج؟ كيف ذلك؟ وما معنى القلب الزجاجي؟".

قالت الجنية برقة "لا نعرف! فبعض البشر لديهم قلوب من زجاج أو أرجل من زجاج أو عقول من زجاج، وهذا بفعل قوى شريرة تأخذ قلبك الأصلي، وخاصة إذا كنت ممن ينظرون كثيرًا في المرآة. لو أنك لا تستخدمين عقلك يأخذونه ويضعون مكانه عقلاً زجاجيًا. ولو أنك لا تستخدمين حواسك يمكن أن

يعطوك رجلين زجاجيتين، لا يستطيع أحد أن يلمسك وإلا تكسرت وقد حدث ذلـــك مع كثيرين".

سألت شيرين "وكيف أستعيد قلبي الحقيقي مرة أخرى؟ سأفعل كل ما تمليه عليَّ حتى أنال السعادة وأشعر بالحب".

أجابت الجنية بصوت حزين "لن يكون ذلك سهلاً، ولكن إذا فعلت ما أمليه عليك سيصبح كل شيء على ما يرام بمرور الوقت. يجب أن تتخلي عن التفكير في الملابس الجديدة والمجوهرات وكل الأشياء الزائلة تلك، كما يجب ألا تتحدثي مع زوجك لمدة ثلاثة أشهر. عليك كذلك أن ترتدي أبسط الثياب وأن تقومي بأعمال الخدم وتعطي كل أموالك للفقراء. كل أماني زوجك حتى نزواته أوامر بالنسبة لك، وإذا استطعتِ أن تبعدي كل أفكار الطمع والجشع والخيلاء عن هذا القلب الزجاجي، فسوف يتكسر ويختفي إلى الأبد ويعود إليك قلبك الحقيقي وتكون حياتك سعيدة مع زوجك".

صاحت شيرين "وماذا لو لم أستطع اجتياز كل هذه الاختبارات؟ ماذا أفعل إذًا؟"

بابتسامة ناعمة جميلة هزت الجنيـــة الجميلـــة رأســـها وحركـــت عـــصاها السحرية واختفت.

ملأ النور الغرفة مرة أخرى ووضعت شيرين المرآة في خزانة غرفة نومها، وخلعت عنها ملابسها الحريرية وارتدت أبسط ثياب لديها، وعملت مع الخدم تساعدهم يدًا بيد بدلاً من إصدار الأوامر.

في المساء عاد زوجها. كان من السهل عليها ألا تتحدث لأنه لم يكن يتحدث إليها، وكان يدير نظره عنها معظم الوقت ويشغل نفسه بتنظيف خناجر الصيد،

وفي اليوم التالي قبلها على جبينها وامتطى جواده وذهب إلى منطقة نائية. قامت بصنع بدلة جديدة له وصبغت القماش باللون الأزرق النيلي تمامًا كما رأت حماتها تفعل الأسبوع الماضي. وعندما جاءت إليها الوصيفات لتلقي الأوامر لم تكن تتحدث إليهن وإنما تخاطبهن بالإشارة، فذهبن لأهل زوجها يخبروهم بأنها قد أصابها الخرس.

عندما عاد زجها كان عصبي المزاج، صرخ فيها عدة مرات وهي تقدم له الطعام. كانت عيناه حزينتين بعد أن اختفت ابتسامته الساحرة من على شفتيه. جاءت أمه وأخبرته بأن قوى شريرة أخذت لسان زوجته، وقالت له "إن الفتاة ممسوسة".

تظاهرت شيرين بأنها لا تسمع شيئًا من كلامه إليها بعد أن غادرت أمه إلى غرفتها، لدرجة أنه كان يعتقد أنها قد أصبحت صماء كذلك. جلست بجانبه مطأطأة الرأس تنظر إلى ثيابها وهي لا تشعر بشيء في قلبها الزجاجي، لا حب ولا كره، فراغ فحسب، ولكنها تذكرت تحذير الجنية وأنه عمل صعب، فلم يكن أمامها سوى الانتظار. مع الشهر الجديد بدأت في الاستمتاع بمهامها المختلفة في البيت. في الحديقة رأت، لأول مرة، جمال الطبيعة في الربيع وفي جمال الأزهار والعشب، واستمعت باهتمام بالغ لتغريد الطيور وهي جالسة تخيط وتطرز بدلة زوجها. نادتها حماتها بصوت عالٍ فقد كانت تظنها لا تسمع، ومع ذلك تحملت الصوت العالي بصبر وانتظرت. بعد مرور شهرين أصبحت متعاونة وطيبة مع الآخرين، وبدأ زوجها يستعيد مشاعر الحب تجاهها.

تعلق قلبه بها من جديد. أصبح من الواضح أنها أصيبت بالخرس والصمم، وقرر زوجها أن يبحث عن طبيب لعلاجها، يعيد لها سمعها وكلامها. قالت له أمه إنها حالة ميئوس منها ولا أمل في شفائها، وألمحت له أن شيرين كانت تعاني من اختلال العقل، ولكن نادرجان كان يشعر بأن عليه، على الأقل، أن يحاول. سمع عن طبيب في بلدة بعيدة ذاعت شهرته في علاج الصمم والبكم، وقبل السفر رتب كل أموره في المنزل ثم تأهب للرحيل.

ارتدى ملابس السفر وأرسل في طلب جواده. سيقوم برحلة طويلة شاقة للبحث عن ذلك الرجل ويقنعه بالعودة معه لمساعدة شيرين على حل مشكلاتها. عندما رأت شيرين نادرجان على وشك الرحيل عرفت من كلامه مع أمه أنه كان عازمًا على القيام بتلك الرحلة من أجلها، خطرت على بالها فكرة، وبينما كان زوجها على وشك امتطاء جواده مدت يدها إليه، وبدأ شيء يرفرف بين ضلوعها، لم تكن تعرف ما هو. أمسكت بركاب الحصان وأدهشت الجميع حين قالت: "نادرجان، نادرجان، لا تذهب .. إني أحبك".

بصيحة فرح قفز نادرجان من على الجواد واحتضنها وهو يقول "معجزة، زوجتي بخير، تستطيع أن تتكلم، تستطيع أن تتكلم"، وحملها بين ذراعيه إلى داخل البيت. أعاد السائس جواده إلى الإسطبل. أخبرته شيرين بكل شيء عن الجنية، ولاحظا معًا أن القلب الزجاجي قد تكسر إلى ألف قطعة وحل محله قلبها الحقيقي، الذي أخفته القوى الشريرة.

وقعت شيرين في غرام زوجها مع قمر الشهر الثالث، ومنذ ذلك اليوم لم يتوقف نادرجان عن حبه وتقديره لها.

سائس الملك

كان يا ما كان في سالف الزمان، هناك ملك قوي متعجرف يملك قصورًا فخمة وسفنًا تحمل بضائع غالية الثمن من ممالك بعيدة، توفر له كل كنوز العالم المعروف حينئذ. كان لديه كذلك أفضل سلالات الخيول في إسطبلاته. كان أعداؤه يحشون جيشه القوي في كل ركن في مملكته. كان عادلاً في مواجهة المخطئين، وله رسل في كل مكان يذهبون إلى أماكن بعيدة مثل الصين في الشرق. وصل من القوة والنفوذ لدرجة أن ملوك السلاجقة كانوا يخشونه.

في تلك الفترة كانت السهام والأقواس هي الأسلحة المستخدمة، وكان الملك عندما يخرج للصيد يحرص على أن تكون أسلحته أفضل من أسلحة معاونيه أيًا كانت مناصبهم.

ذات يوم قرر الخروج للصيد بمفرده حتى ينسى فكرة كونه ملك، ويستريح من إدارة شئون البلاد والاحتفالات الرسمية في البلاط، حيث يحضر سفراء ملوك آخرين برسائلهم إلى الملك.

توغل الملك في أعماق الغابة بمفرده حتى بدون خادمه يحمل سهامه كاملة، يبحث عن معركة في أعماق الحياة البرية. كان يفكر في الطريدة، وعقله متيقظ ويشعر بسلام مع العالم أجمع. لمح حيوانًا مرة أو مرتين، كان حيوان الأيلة ذات اللون الذهبي الجميل، وكلما كان يضع سهمًا في القوس كانت تتحرك بسرعة بين الأشجار وتختفي عن بصره.

لمحها مرة أخرى ولكنها اختفت ثانية، وساعدها جلدها المموه لكي تغيب عن النظر بين أشجار الغابة.

مثل والده من قبله كان الملك صيادًا ماهرًا، ولكنه تأكد بحدسه أنه فقد كل أثر للأيلة برغم كل خبرته بالصيد. انزعج الملك وألقى بنفسه تحت شجرة قديمة ليرتاح وهو يقول لنفسه "ربما تكون عيناي متعبتين، سأرتاح قليلاً قبل أن أستأنف".

وفجأة أفزعه صوت فرع جاف ينكسر، فنظر لأعلى فرأى رجلاً عجوزًا يقف على بعد أقدام قليلة. ظنه لصًا أو قاتلاً، وضع الملك الصياد سهمًا في القوس بسرعة وصاح "من أنت؟ وماذا تريد؟ اقترب خطوة أخرى وسأرديك قتيلاً".

ركع الرجل العجوز أمام الملك بوجه هادئ وعينين صافيتين وقال "لك طول العمر أيها الملك المعظم، السلام عليكم أيها الملك، أنا حامد خان سائس خيولك. أعرف اسم كل حيوان تحت رعايتي، كل الذكور والإناث والمهور الصغيرة، ومع ذلك يلفت نظرك حيوان الأيلة في الغابة أكثر من وجه أحد أكبر رعاياك سنًا".

بهذا الكلام أحس الملك بالخجل. وضع القوس جانبًا واحمر وجهه، وطلب العفو من الرجل العجوز. عادا سويًا إلى القصر، وفي الطريق كان الملك النادم على ما فعل يتحدث مع الرجل العجوز طيلة الوقت، وقد نسي كل أفكاره عن الطريدة والصيد. تعجب من أنه لم يتحدث مع حامد خان من قبل على الرغم من عمله لديه لفترة طويلة. ومنذ ذلك اليوم قرر الملك، الذي كان فخورًا متعاليًا، أن يتعرف على رعاياه مهما تواضعت وظائفهم، وانتهز كل فرصة لبناء جسور بينه وبينهم. الآن أصبح يدرك أكثر من أي وقت سابق مدى اعتماده عليهم وعلى ولائهم، وأن إحدى مسئولياته التعرف عليهم كما يتعرف السائس على خيله. منَّ الله عليه بسنوات من الهدوء وراحة البال عندما أدرك أهمية أن يفكر في الآخرين كما يفكر في نفسه.

التعـويذة السحـرية

في سالف الزمان خرج رجل ثري يُدعَى والي خان للصيد في غابة تقع على حافة واد، عندما رأى فتاة صغيرة تجمع الجوز، وكانت فتاة جميلة ولكن ثيابها تدل على أنها فقيرة لدرجة أنه أوقفها ليعطيها عملة تشتري بها شيئًا من الحلوى.

قالت الفتاة "شكرًا لك يا سيدي، لست بحاجة للمال فأنا أقتات على التوت والجوز في الغابة، لا أعرف أين أنفق هذه العملة لأنني لم أر سوقًا في حياتي".

دُهش والي خان وقال "هذا عجيب! كم بقيتِ من الوقت هنا؟ وكيف جئتِ إلى هذه الغابة النائية؟"، قالت الفتاة "لقد اختطفت من منزلي البعيد الذي لا أعرف أين هو بالضبط. خطفتني جماعة من البدو الرحالة بينما كنت ألعب في حديقة منزلنا مع أخواتي، وخيموا عند حافة هذا الوادي ذات ليلة وفي الصباح تمكنت من الهرب منهم. وبعد أن ذهبوا وجدت التوت والجوز وشربت من مياه الشلال التي تترقرق بين تلك الصخور البعيدة. أريد أن أبدأ رحلتي لأرى إن كنت أستطيع أن أجد بيتي، فأنا أشعر بالوحدة هنا. ليس معي سوى الحيوانات، وقد يعود البدو من جديد من هذا الطريق وأخشى أن يختطفوني مرة أخرى". وراحت تبكي.

جفف والي خان دموعها وهو يقول بعطف: "ابنتي العزيزة! سآخذك إلى بيتي، سترعاك عائلتي إلى أن يحين الوقت ونعرف أهلك، وستكونين في منزلة بناتي اللائي في مثل سنك تقريبا".

حملها على كتفه إلى بيته الكبير، وعندما وصل ركضت بناته لاستقباله يملؤهن الشغف لمعرفة الفتاة، فأخبرهن أن اسمها قُبيلة وعمرها ثمان سنوات ولها ثلاث أخوات.

ثم أخذها والي خان إلى زوجته التي حمّتها وألبستها ملابس نظيفة كي تستمتع باللعب مع باقي الأطفال. في الشهور القليلة التالية كان والي خان يرسل الرسائل في كل اتجاه، يحاول أن يصل إلى معلومات عن أية عائلة فقدت طفلة صغيرة اسمها قُبيلة اختطفها البدو. ولسوء الحظ لم يصل لأية معلومات عن بيتها.

وبعد فترة بدأت الفتاة تشعر أن بيت والي خان بيتها مع عائلتها الجديدة، وبدأت كل صور أمها وأبيها وبيتها القديم وأخواتها تخبو بالتدريج. ومرت السنوات ونسيت تمامًا الجزء الأول من حياتها. أصبحت زوجة والي خان والدتها، علمتها كل الأشياء التي تتعلمها ابنة تعيش في ذلك البيت؛ تعلمت غزل صوف الخروف والنسج والتطريز على الحرير وطهي الأطباق اللذيذة.

احتفلوا بعيد ميلادها السابع عشر في جو من المرح وهي بين أحضان والديها بالتبني. كان بلوغها السابعة عشرة يعني أنها وصلت إلى سن الزواج وقد حان الأوان للبحث عن زوج لها. بدأت بنات والي خان بالإحساس بالغيرة منها حيث أصبحت أكثر جمالاً وذكاءً وفاقتهن جميعًا في كل شيء. لم تشعر قُبيلة بامتعاضهن فقد كانت طيبة لا يحمل قلبها ضغينة لأحد.

وفي اليوم التالي جاء أمير على ظهر جواد ومعه رفاقه ورأى قُبيلة بينما كانت تقطف الأزهار في الحديقة. أوقف حصانه وطلب من خدمه الانتظار ودقّ على الباب يطلب ماء ليشرب.

كانت تلك بالطبع ذريعة لكي يعرف من تكون الفتاة ويستغل الفرصة في الحديث إليها. كان يبحث عن عروس، فقد قال والده له ذلك الصباح أنه يجب عليه أن يتزوج. فتح الخادم الباب للأمير الشاب صادق وقدمه لوالي خان الذي أعجب به، وكان مسرورًا بزيارة أمير مثل صادق له في بيته. وأرسل في طلب الشراب لجميع أفراد الحاشية وأفضل طعام للضيف.

وفي الوقت نفسه كانت قُبيلة قد رأت الأمير النبيل مع والدها وهي عائدة بالورد الذي قطفته من الحديقة، وتظاهرت بعدم الاهتمام، وعندما صعدت للطابق العلوي كانت محمرة الوجنتين لأنها أحست أنها وقعت في غرام ذلك الأمير من أول نظرة.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام سأل الشاب والي خان قائلاً: "من فضلك لا تفهمني خطأ وتظنني لا أفهم في أصول اللياقة بسبب ما سأقوله لك، فإنني أطلب هذا الطلب من أعماق قلبي. هل لي أن أتزوج ابنتك؟ دُهش والي خان وقال "لديَّ أربع بنات. أيهن تقصد؟ وكيف قررت بهذه السرعة؟"، أجاب "لا أعرف، ولكنها تلك التي كانت تجمع الورد في الحديقة؛ فقد وقعت في غرامها لحظة أن وقعت عيناي عليها. ومن عادتي دائمًا أن أتخذ قراراتي بسرعة. أرجوك وافق على طلبي يا سيدي لتجعلني أسعد رجل على وجه الأرض".

ابتسم والي خان وقال "إذًا هي قُبيلة، ولكن لا بد أن أسألها عن رأيها".

أرسل في طلب قُبيلة، ولما نزلت إليهما قالت في خجل إنها تريد أن تتزوجه، فأصبح الشاب أسعد رجل على وجه الأرض.

عاد الأمير مرة أخرى ليخبر والده بأنه قد وجد عروسًا، وجرت قُبيلة لتخبر أخواتها عن حظها السعيد. تظاهرن جميعًا بالسعادة والفرح ولكن مشاعر الغيرة كانت تعتمل في قلوبهن، وشكين لوالدتهن أنه من الظلم أن تتزوج اللقيطة قبلهن.

قالت إحداهن "من هي على أية حال؟ وجدها أبونا في ثياب مهلهلة في الغابة؟"، ووافقت الثانية: "نعم، يمكن أن يكون كل ما قالته كذب في كذب. ربما تكون من البدو وقد تركها أهلها عن عمد لأنها فتاة!". كانت تلك هي الأحكام الشريرة القاسية التي أطلقتها بنات والي خان لأمهن، الآن كن يشعرن بالغيرة منها أكثر من أي وقت مضى.

لم تكن قُبيلة على علم بأي من ذلك، وكانت سعيدة جدًا وهي ترتب ثياب عرسها وتنتظر عودة الأمير صادق؛ وأخيرًا جاء مع عدد كبير من النبلاء والخدم ليرافقوا قُبيلة في الطريق إلى القصر. امتطى والي خان جواده متباهيًا وهو يسير بجانب العربة التي كانت تجرها أربعة خيول، التي أرسلها الأمير ليأخذها هي وأمها وأخواتها المتبرمات إلى حفل الزفاف.

تم الزفاف في قصر الأمير في احتفال كبير ورحبت العائلة المالكة بقُبيلة. استمر العرس سبعة أيام وسبع ليال. كانت مشاعر الحب تغمرهما وكانا يتطلعان إلى حياة سعيدة مديدة .

ثم ذاع الأمر بين أفراد الحاشية والبلاط بأن قُبيلة كانت لقيطة وجدها والي خان في غابة تأكل الجوز والتوت، وأنها ليست من عائلة تناسب عائلة الأمير لتكون زوجة له. وكان سبب ذلك الغمز واللمز الذي أثارته بنات والي خان الثلاث، اللائي عزمن على هدم سعادتها مقررات أنها لم تكن إلا غجرية. أرسلت زوجة الأمير في طلب البنات الثلاث لتسألهن عن حقيقة العروس، وقالت بحدة "كنا نظن

أنها ابنة الشريف والي خان. فما هذا الذي أسمعه من أنها خدعت ابني صادق وأنها فتاة غجرية وجدها والي خان في الغابة في ثياب مهلهلة تأكل الجوز والتوت؟" .

أجابت البنات الثلاث واحدة تلو الأخرى بأن القصة حقيقية وأقسموا بالله أن ما يقلنه الصدق. صدقتهن والدة صادق وسمحت لهن بالانصراف وطلبت من وصيفتها إحضار قُبيلة أمامها في الحال.

ارتدت قُبيلة ثيابًا حريرية وقرطًا ذهبيًا جديدًا، ومشطت شعرها الأسود الطويل في ضفائر جدلتها بخيوط من اللؤلؤ، وذهبت إلى حماتها وهي تتوقع حديثًا ممتعًا عن محل إقامتها الجديد. لك أن تتخيل مدى حزنها عندما رأت وجه والدة صادق الممتقع الغاضب دون أي ترحيب في عينيها، تجمد الدم في أوصالها وسألت "لمَ أرسلت في طلبي؟ ما الذي أغضبك هكذا؟" .

قالت الملكة غاضبة "لقد سمعت عن أصلك غير الطيب وكيف أن والي خان قد وجدك في مكان مجهول ولا يعرف شيئًا عن أصلك وفصلك، فكيف تكونين أمًا لأولاد ابني صادق؟ إنه متسرع دائمًا في قراراته. يقع في غرام فتاة رآها تقطف وردًا في حديقة؟ أنا منزعجة جدًا من تلك الأخبار ولا أعرف ماذا أقول للأمير!" .

اغرورقت عينا قُبيلة بالدموع وركعت على ركبتيها وهي تقول "نعم، نعم، فأنا لا أستحق أن أكون زوجة لابنك، ولكن أرجوك صدقي أننا نحب بعضنا وسأبذل قصارى جهدي لإسعاده. أرجوك لا تبعديني عن صادق".

"أخشى أننا لكي نحافظ على شرف عائلتنا لا بد من أن تعودي مرة أخرى إلى بيت والي خان. سأطلب من ولدي أن يتزوج واحدة من بنات والي خان. كان قرارًا متسرعًا، وقد قيل قديمًا إن من يتسرع في زواجه يندم بعد ذلك. أنا لا ألومك

يا ابنتي العزيزة، فهذا ليس خطأك بكل تأكيد، فأنا أعرف أن صادق يحبك". قالت وهي تبتسم "لقد أحسست من أول وهلة رأيتك فيها أنك مناسبة له، ولكن... ولكن.."، ولفت نظرها حلية فضية كانت قبيلة تعلقها في رقبتها في سلسلة جلدية، وقالت "من أين لك بهذه؟ إنها تعويذة تخص شخصا عزيزا جدًا على قلبي؟ كيف وصلت إليك؟ أخبريني في الحال".

أجابت قبيلة "إنها معلقة في رقبتي منذ أن كنت طفلة، عندما اختطفني البدو من بيتي كنت أرتديها"، قالت وهي تجفف دموعها "أتذكر أن أمي وضعتها حول عنقي عندما كنت صغيرة جدًا وهي تقول لي إنها ستحفظني من كل شر وسوء؛ لأن آية الكرسي محفورة عليها".

"لقد أعطيتها لأمك، فأنا أعرف هذه التعويذة أينما كانت"، قالت حماتها وهي تبكي "يا حبيبتي! سامحيني على قسوتي. ليتني رأيتها قبل ذلك فأمك هي السيدة ليلى، صديقة عزيزة على قلبي، كنت ألعب معها من زمن بعيد قبل أن تتزوج والدك. آه يا طفلتي المسكينة، لقد سمعت مؤخرًا أنها ووالدك قد قُتلا على يد جماعة من اللصوص في منزلهما على بعد عشرين ميلاً من هنا. كنت أعرف الجرح الدفين في قلبهما بعد فقدان ابنتهما الصغيرة على يد بدو رُحّل بينما كانت تلعب في الغابة مع أخواتها الثلاث".

أجابت قُبيلة ويداها تعبث بالتعويذة الفضية وكأنها رقية سحرية "إذًا أنا من أسرة طيبة وعروس مناسبة للأمير؟"، "نعم سامحيني على ما قلته لك، وأشكر الله على إرساله لي ابنة صديقتي العزيزة لتكون زوجة لابني. أخواتك الثلاث الحقيقيات متزوجات من رجال شرفاء في بيوت قريبة من هنا، وسأرتب مقابلة لك

معهن في أقرب وقت ممكن. والداكِ توفيا ولكن اعتبريني في مقام أمك"، واحتضنتها بحب وعطف.

ملأ الفرح عيني قُبيلة وأسرعت لتغسل عينيها وتهدأ من روعها قبل أن تذهب وتخبر زوجها بأن لها ثلاث أخوات بجانب أخواتها بنات والي خان. وبيدين شاكرتين تحسست التعويذة السحرية حول عنقها.

بمرور الوقت وجدت قُبيلة أزواجًا لأخواتها بنات والي خان، اللائي أصبحن في النهاية أكثر ودًا وحبًا لها، وعندما اجتمعت بأخواتها الحقيقيات بعد كل هذه الفرقة لم تكن تسعها الفرحة، خاصة بعد أن رزقها الله بأولاد كثيرين هي وزوجها الأمير صادق.

لعبة "أنا أتذكر"

كان هناك زوجان يعيشان في مزرعة، تشملهما السعادة. كان الزوج واسمه عبد الرحيم يحب الفاكهة، وذات يوم قال لزوجته "بلقيس تعالي نلعب اللعبة القديمة؛ لعبة "أنا أتذكر"، التي علمتني إياها جدتي. فهي ستملأ حياتنا بالحيوية والبهجة".

قالت بلقيس "أنا لا أعرفها، قل لي ماذا علي أن أفعل".

قال عبد الرحيم في دهشة "ألم تعلمك أمك هذه اللعبة؟ قواعدها هكذا: يتفق اثنان أن كلاً منهما سيقول "أنا أتذكر" عندما يعطيه الآخر شيئًا. وإذا نسي أيهما أن يقولها عليه أن يدفع غرامة يتفقان عليها سويًا في البداية" .

قالت بلقيس في مرح "سأطلب عقدًا فضيًا جديدًا من أفضل صائغ في السوق"، ووافق عبد الرحيم.

ومنذ ذاك اليوم كانت بلقيس عندما تأخذ شيئًا تقول بسرعة "أنا أتذكر"، وزوجها يفعل الشيء نفسه. ضحكا كثيرًا وهما يلعبان هذه اللعبة وكانا متيقظين دائمًا ويعمل كلاهما على ألا يكون الآخر هو الفائز. واستمر الحال هكذا ستة أشهر. وكانت بلقيس إذا نسيت أن تقول الكلمة السحرية عليها أن تعطي عبد الرحيم معطفًا مطرزًا جديدًا، وكان كلاهما مصممًا على الفوز.

مرت الأيام واستمر العمل في الحقل كالعادة، في الحر وفي البرد، وقرر عبد الرحيم أن يذهب إلى بلدة بعيدة ليحضر بعض البذور والمؤن، التي كانت

مطلوبة قبل فصل الشتاء الطويل. جاءت أخت بلقيس وزوجها ليعيشا معها ويساعداها في أعمال المزرعة، ولأنها كذلك كانت تنتظر طفلها الأول.

وبينما كانوا في وداعه، كان آخر شيء يقوم به عبد الرحيم إعطاء زوجته كيس نقود يحتوي على أجر العامل على المحراث، الذي كان من المقرر أن يعود إلى قريته حتى يأتي الربيع؛ وبابتسامة سعيدة أخذته بلقيس وقالت "أنا أتذكر"، وأضافت في ذكاء "لن تأخذ مني المعطف المطرز هذه المرة".

بدأ الثلج في التساقط مبكرًا على غير عادته هذا الشتاء لدرجة أن الكثير من الطرق أغلقت، ومن بينها الطريق المؤدي لمزرعة عبد الرحيم؛ لذلك تأخر عن موعده لأسابيع عديدة، على الرغم من أنه كان يجيد التسلق فإنه وجد من الحكمة ألا يذهب أبعد من ذلك في هذا الطقس السيئ؛ لأن المسافرين كانوا يتعرضون لعواصف ثلجية في ذلك المكان من أفغانستان؛ لذا عاد مرة أخرى، ومكث عند صاحب قهوة حتى انتهى الخطر وبدأ من جديد محاولة العودة للبيت. أشرق ضوء الشمس على الثلج اللامع بينما كان المزارع الذي يحمل أشياء كثيرة يحاول العودة. عندما وصل كان دخان النار يتصاعد، دفع الباب ليفتحه وهو يضرب بقدميه في الأرض حتى يزيح عنهما الثلج الملتصق بهما، ليجد زوجته جالسة بجانب النار على كرسي منخفض صنعه لها في أوائل الربيع. كان في شوق وقلق عليها حيث إن موعد الولادة قد اقترب، وفرح فرحًا شديدًا عندما رأى الرضيع ملفوفًا بقماطة في حجرها. نظرت بلقيس إلى زوجها وهي في غاية السعادة تغمرها الفرحة بعودته وتمتمت "عبد الرحيم ها هو ابنك"، ورفعت يديها حاملة الصغير إليه.

أخذ الطفل بين يديه وراح يحدق في وجهه الصغير تغمره مشاعر الفرحة والسعادة، وكان الطفل يتبادل النظرات مع والده. لم يتحدث، ولكن تحدثت زوجته

بصوت منتقد "زوجي هل لي أن أذكرك أنك نسيت أن تقول "أنا أتذكر؛ لذا فإن لي عندك عقد فضي، لقد فزت به في النهاية".

كان عبد الرحيم في غاية السعادة فلم يمانع على الإطلاق، وقرر هو وزوجته أنه مع وجود الطفل لن يكون هناك وقت لمثل هذه الألعاب، وبينما كانت تهز الطفل في مهده المصنوع من خشب الجوز، كانت بلقيس تقوم بحياكة وتطريز معطف لزوجها.

ابنة تاجر السجاد والثعبان

في يوم من الأيام كان يعيش في كابول تاجر سجاد يُدعى عبد السلام مع زوجته وابنته نيلوفر، التي سقطت أمها صريعة المرض وتوفيت عندما كانت هي في السابعة من عمرها.

ولأن نيلوفر ابنة وحيدة فقد كانت تذكر أباها بزوجته، وكان عبد السلام يغالي في تدليلها؛ يشتري لها دائمًا أشياء جميلة ويلبي كل رغباتها. تعب الخدم من تلبية طلباتها لدرجة أنهم تركوها وألعابها ولم يلقوا لها بالاً، واستمر الوضع على هذا الحال. وذات ليلة ذهب كل الخدم إلى حفل زفاف وبينما هم هناك تسلل لصوص إلى بيت التاجر وسرقوا كل الأشياء الثمينة. لم يعد الخدم بعد ذلك الأمر الذي جعل التاجر يشك في تعاونهم مع اللصوص.

أصبحت نيلوفر ووالدها وحيدين في بيت خالٍ، وبعد تفكير طويل قرر عبد السلام أن يذهب إلى أخيه في قندهار، ويطلب منه أن يقرضه بعض المال ليشتري بعض البضائع أو يعطيه بعض السجاد ليبيعه. لم تكن كرامته تسمح له بأن يطلب مساعدة من أي من أصدقائه في كابول، وقبل رحيله طلب من جيرانه أن يرعوا نيلوفر إلى أن يعود من رحلته، وأعطاهم نصف ما معه من مال كي يشتروا لها طعامًا.

كانت نيلوفر تشعر بالحزن والوحدة لفراق والدها بالطبع؛ لأنه هو الذي كان يدللها. فهي التي كانت قرة عين أبيها تصبح الآن فقيرة وغير مرغوب فيها! كانت

السيدة في البيت المجاور لهما تطعمها كما تطعم أبناءها، ولكن كلما كانت الأموال التي تركها والدها تتناقص، قلّ ما تقدمه لها من طعام.

بدأ الأطفال الآخرون يتهكمون عليها ويسخرون منها ويخبرونها أن والدها لن يعود أبدًا. كانت كل يوم تنظر من بوابة الحديقة لترى والدها وتقف في انتظاره، لكنه لم يأت. كانت تبكي ليلاً وهي لا تعرف ما إذا كانت ستراه مرة أخرى أو ما إذا كان يحبها بالفعل.

ذات يوم قررت أن تهرب لتبحث عن والدها. أخذت معها حقيبة قطنية وملأتها بالجوز من الشجرة الكبيرة التى في الحديقة، حيث اعتادت أن تلعب عندما كانت سعيدة، وقبل الفجر انطلقت في طريقها. مشت ومشت وعندما أشرقت الشمس جلست بجانب جدول، غسلت وجهها ويديها وشربت من الماء العذب وأكلت بعض حبات الجوز. اشتدت حرارة الشمس وبدأت قدماها تؤلمانها ولكنها أكملت السير. قابلت أشخاصًا ذاهبين إلى كابول يمتطون الخيول أو يقودون مجموعات من الجمال، ولكنهم لم يلتفتوا إليها.

بعد ذلك اقترب منها صبيان من الرحالة ومعهما جراب وبه شيء يتحرك، وهما يضحكان ويصيحان كالأطفال، ثبتا الجراب في أحد فروع الأشجار وبدآ في وخزه بعصا. ثم جريا بعيدًا وراء بعض الماعز غير آبهين أو ملتفتين إلى نيلوفر. كانت الفتاة تتساءل عما يمكن أن يكون داخل الجراب الذي كان يتحرك يمنة ويسرة. وخافت أن يكون به شيطان أو جني لذا لم تقترب منه، وكانت على وشك أن تقف على قدميها عندما سمعت صوتًا يخرج من الكيس ينادي عليها "أنقذيني، أنقذيني. أخرجيني من هذا الجراب وحررني ولك مكافأة. أنا أراك من ثقب صغير أيتها الفتاة الصغيرة. ساعديني أرجوك، فكي وثاقي".

وقفت الفتاة على أطراف أصابعها وهي تشد الكيس الذي استطاعت أن تنزعه من الفرع، وفكت الرباط عنه. وانزلق منه ثعبان أخضر بني طويل لامع له حراشف براقة. كان له عينان سوداوان لامعتان ولسان طويل ذو طرف رفيع يهتز باتجاهها.

صاحت نيلوفر في رعب قائلة "كيف لك أن تتحدث؟ أرجو ألا تعضني".

أجاب الثعبان "لا، لا يا ابنتي لن أضرك بالتأكيد فقد وعدتك بمكافأة وسأفي بوعدي. اطلبي ما تريدين وسيكون لك في الحال".

قالت نيلوفر إن الشيء الوحيد الذي كانت تتمناه الآن رمانة وكوبًا من شراب التوت الحلو. وفي غمضة عين كانت الرمانة في يد وكوب التوت في اليد الأخرى. نظرت إلى الثعبان في دهشة وهو ملتف على الأرض أمامها ولسانه يلمع في ضوء الشمس. شربت العصير إلى آخر قطرة وقشرت الرمانة وبدأت تأكلها وهي شاكرة للثعبان.

سألها الثعبان "أين أنت ذاهبة؟"، فأخبرته الفتاة بقصة هروبها للبحث عن والدها.

قال الثعبان وهو ينظر إليها ولا يحول نظره "ألم يقل لك والدك أن تنتظريه حتى يعود؟ ماذا سيظن إذا عاد إلى البيت ولم يجدك؟" .

قالت الفتاة في شوق "لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك. أعرف أنني يمكن أن أجده إذا وجدت الطريق إلى قندهار" .

أصدر الثعبان فحيحًا حادًا وهو يقول "لن تستطيعي الذهاب إلى قندهار سيرًا على الأقدام بلا دليل أو مرشد معك، فأنت لا تعرفين كم تبعد عن هنا ولا تعرفين

الطريق. دعيني أتعلق حول رقبتك وسأخبرك كيف تصلين إلى بيت سيدي، فهو مدرب ثعابين مشهور وسيكافئك على إنقاذ حياتي".

وضعت نيلوفر الثعبان حول رقبتها وفوجئت بملمسه ناعما كالقلادة الفضية التي اعتادت أمها أن ترتديها. كانت سعيدة لأنها استطاعت أن تحمل الثعبان بهذه الطريقة ولم تعد خائفة منه. أخذت معها الكيس القطني المليء بالجوز وتبعت تعليمات الثعبان. وبينما هما في الطريق أخبرها الثعبان بأن لديه قوى سحرية يستطيع من خلالها تلبية أي طلب لأي شخص آخر غيره؛ لذا لم يكن في مقدوره تحرير نفسه عندما وضعه الصبية الرحالة في الجراب.

قال الثعبان "كنت نائمًا على حجر في الشمس عندما قبض عليَّ أولئك الأوغاد. لا أعرف ما الذي كان يمكن أن يحدث لي إذا لم تنقذيني، ولكنني أرى التعب عليك لأنك بدأت تتعسرين في سيرك. لم لا تمتطي ركوبة؟ وفي لحظة ظهرت أمامهما عربة يجرها حمار في وسط الطريق. وكأنها في حلم ركبت نيلوفر العربة ومعها الثعبان حول رقبتها، وسرعان ما علا صوتها بالضحك وهي تمسك بلجام الحمار ذي الأذنين الطويلتين، بدأت قدماها المتعبتان في التحسن، ونادى الثعبان على الحمار قائلاً "خذنا سريعًا إلى منزل سيدي لأن هذه الفتاة يجب أن تجد والدها، وأعلم أن سيدي سيساعدها". وانطلقوا جميعًا في عدوهم في مرح وحبور.

بعد وقت قصير جدًا وصلت العربة ووقفت أمام بوابة بيت كبير ذي حوائط بيضاء، يقع وسط أشجار التوت والجوز الكبيرة مثل تلك التي كانت تنمو في حديقة منزلها في كابول. كان منظرًا رائعًا، ولكن شعورًا بعدم الارتياح اجتاح نيلوفر وسألت الثعبان وهي تنزل من العربة "من سيدك؟ فهذا بيت شخص مهم جدًا".

قال الثعبان "هدئي من روعك يا ابنتي. فسيدي رجل رائع وطيب ذو سمعة طيبة في عالم السحر والغيبيات التي لا يعقلها أناس عاديون، فهو سيد ثعابين كثيرة، وهناك المئات منا تحت إمرته. اجلسي هنا تحت هذه الأشجار بجانب النوافير وسأذهب وأخبره بمجيئك وكيف أنقذتيني".

أخذت نيلوفر الثعبان من حول رقبتها ووضعته على الأرض بينما كانت تنظر على الحديقة حولها، زحف الثعبان بعيدًا وجلست على مقعد رخامي بارد خلف تعريشة مليئة ببراعم وردية ذات رائحة طيبة. بدأت حرارة الشمس في الانخفاض وكان الجو في الحديقة دافئًا ومريحًا كما لو كانت في حدائق الفردوس. هل هو حلم؟ هل تستيقظ لتجد نفسها مرة أخرى في بيت جارتهما؟ فركت عينيها ولكن المنظر حولها ظل كما هو ولم يتغير.

وبعد قليل فتح باب المنزل الخشبي المحفور الكبير وزحف الثعبان الأخضر ناحيتها على ممر الفسيفساء الملون، وخلف الثعبان كان يسير أطول رجل رأته نيلوفر في حياتها. كانت عيناه رماديتين شاحبتين ذات بؤبؤ غامق ويضع على رأسه طاقية مطرزة صغيرة وشعره أبيض كالفضة، ويرتدي معطفًا حريريًا طويلاً يصل إلى الأرض، مبطنًا ذا ألوان مختلفة وكمين طويلين.

وقفت نيلوفر من جلستها وحاولت أن تتحدث ولكنها لم تجد شيئًا تقوله؛ لذا وقفت في مكانها وأخفضت عينيها وهي تفكر في ملابسها الرثة المتسخة بغبار الطريق، وتحاول جاهدة أن تخفف من خفقان قلبها، وسرعان ما حاول الرجل الطويل تهدئتها؛ فطلب منها أن تجلس على المقعد الرخامي مرة أخرى وجلس بجانبها وعلى وجهه ابتسامة ساحرة. شعرت نيلوفر بنفسها وهي تبتسم بينما كانت تنظر إلى وجهه الهادئ.

لفَ الثعبان نفسه حول أحد أرجل كرسي سيده وعيناه، اللتان بلا أجفان، تلمعان.

قال مالك الثعبان "لقد أسديت لي خدمة جليلة، فقد أنقذت حياة أفضل ثعبان لديَّ، بعد ما فعله به أولئك الصبية معدومو الشعور. ألا يعرفون أن الثعابين مخلوقات الله مثلنا تمامًا؟ أنا شاكر لك ما فعلتيه وأتمنى أن أكافئك بأي طريقة تفيدك. من فضلك أخبريني وأنت هنا في حديقتي وضيفة الشرف عندي ما الذي أستطيع أن أقدمه لك؟" .

هدأت نيلوفر وهي تستمع للرجل العجوز لأنها عرفت أنه ساحر قوي يمكن أن يجد لها والدها. أخبرته عن مشاكلها من البداية للنهاية وعندما انتهت قال لها "غدًا سأرسل كل ثعابيني في كل مكان في قندهار حيث يجتمع التجار غدًا مساءً ستعرفين مكان والدك ووضعه الحالي. والآن سيأخذك ثعباني إلى زوجتي وبناتي ولك أن تبقي هنا كيفما شئت إلى أن يعود والدك مرة أخرى إن شاء الله". ثم وقف وذهب عائدًا من حيث أتى.

فرد الثعبان نفسه من حول رجل الكرسي وزحف باتجاه مدخل البيت وتبعته الفتاة. فتحت وصيفة بابًا خشبيًا مثل المشربية، ورأت نيلوفر غرفة جميلة أرضيتها مغطاة بسجاد له لون الورد من تركستان، ومضاءة بفوانيس زرقاء صغيرة مدلاة من السقف. كانت زوجة الساحر سيدة طويلة لها وجه جميل وترتدي فستانًا حريريا بألوان قوس قزح وحليا ذهبيةً. أشارت لها بالدخول وذهب الثعبان بعيدًا. رحبت بالفتاة وأخبرتها بأنها سوف تحضر لها ملابس.

ثم جاءت أربع بنات وأخبرنها أنهن بناتها، ساعدنها على خلع ملابسها والاستحمام في ماء معطر برائحة الياسمين وزيت الزهر، شعرت بعده كأنها قد

ولدت من جديد، فقد مرت عليها أيام كثيرة ولم تشعر بهذه الرفاهية، وعندما ساعدتها الوصيفة على ارتداء الملابس التي أحضرتها لها زوجة الساحر، كانت تشعر وكأنها أميرة. واحتفلت نساء المنزل معًا، وعندما حل المساء اجتمعن حتى يستمعوا إلى حكاية نيلوفر من البداية للنهاية. نامت نيلوفر ليلتها على ملاءات من الحرير في غرفة يملؤها ضوء القمر اللامع. لم تتحرك إلى أن لامست أشعة شمس الصباح وجهها. كانت تشعر أنها ما زالت تحلم ثم تذكرت وعد الساحر، هذا المساء عندما تعود الأفاعي ستعرف مكان والدها.

جلست في الحديقة مع صديقاتها الجدد، بنات الساحر، منتظرة أن يرسل في طلبها، وفي منتصف اليوم تقريبًا جاءها الثعبان ليقول "اتبعيني هناك أنباء عن والدك". وقادها إلى غرفة مكتب مليئة بالمخطوطات والكتب الأثرية القديمة.

قال الرجل العجوز "تعالي يا ابنتي، أتمنى أن تكوني قد نلت قسطًا وافرًا من الراحة. لقد أمضى ثعابيني ليلة أمس يزحفون من بيت لبيت ومن شرفة لأخرى يتطلعون من النوافذ ويزحفون داخل وخارج الشقوق في الحوائط، وجلبوا أخبارًا بأن والدك في بلدة ليست بعيدة عن هنا مع قافلة من الجمال استعارها من عمك. سيمر من هنا اليوم في طريقه إلى كابول، وهو مستعد لأن يستأنف العمل بتجارته مرة أخرى، ومتوقع أن يجدك في انتظاره يا ابنتي. وسيعم الرضا على والدك قريبًا".

بدأت نيلوفر في البكاء من فرط سعادتها بعد سماعها أن والدها لا يزال على قيد الحياة ومعه البضائع التي ستمكنه من النجاح مرة أخرى، وفجأة اعتراها شعور بالخوف. قالت "سيدي الطبيب، ولكن كيف لي أن أعود إلى بيتنا القديم لكي يجدني في استقباله؟ أعلم الآن أنني لم يكن يتوجب عليَّ أن أهرب. لو لم أجد الثعبان لربما قضيت نحبي في الطريق".

رد عليها الرجل العجوز في عطف وقال "لا تخافي، لديَّ بساط سحري أحتفظ به في بيتي لمناسبات خاصة، سيأخذك إلى بيتك بعد أن تودعي زوجتي وبناتي. ولكن لي طلب واحد عندك وهو ألا تخبري أحدًا عن مغامرتك هذه ولا عني ولا عن بيتي". وبعد أن وعدته نيلوفر قبلت يده في احترام وشكرته من أعماق قلبها، ثم جرت من توها لتشكر نساء المنزل على كرم الضيافة والملابس الجديدة. وانتظرت في الحديقة حتى يأتي البساط السحري. قال لها الثعبان "احمليني حول عنقك في رحلتك إلى بيتك، سأرشد البساط إلى أين يأخذك".

ظهر البساط السحري بألوان قوس قزح تحت قدمي نيلوفر، فجلست عليه عاقدة رجليها والثعبان حول عنقها، وارتفع بهما البساط عاليًا في عنان السماء ورأت القافلة التي يقودها والدها في الطريق إلى كابول. وتأكدت أنه هو والدها وأمَّن على كلامها الثعبان، وقالت إن عليها ألا تخبر أحدًا بهذه التجربة منذ أن غادرت المنزل. بعد قليل أوصلها البساط إلى حديقة منزلها المهجور، وبينما هي تُنزل الثعبان من على رقبتها وبعد أن وضعته في منتصف البساط، أحست بغصة في قلبها وهي تفارق هذا المخلوق السحري.

قال الثعبان وهو يودعها "إلى اللقاء، أتمنى لك السعادة الدائمة"، وبينما كان يحلق بالبساط فوق السحاب بكت نيلوفر وهي تودعه، ثم أدركت أنها ترتدي ملابسها الرثة المتسخة مرة أخرى، وصندلها البني الممزق بدلاً من ذلك الذهبي الذي أعطته لها زوجة الساحر، ثم أدركت أن ذلك أفضل لأنها لم تكن لتستطيع أن تفسر الملابس الجديدة إذا ما رآها أبوها وجيرانها.

وأثناء ذلك سمعت طرقًا على الباب الأمامي فهرعت إلى الحديقة لتجد والدها قد وصل أخيرًا. كان هناك خادم يمسك بمهره الجديد وقافلة الجمال وراءه

على وشك أن تبدأ في إنزال حمولتها في الفناء. ضحك عبد السلام وهو يحتضن ابنته التي أخبرها أن كل مشكلاته قد انتهت؛ لأن أخاه أعطاه بضائع كثيرة يستطيع بها أن يبدأ من جديد. وأرسل أخوه له أيضًا خدمًا جددًا لكي يقوموا على خدمة ابنته المدللة مرة أخرى؛ ابنته التي لن يتركها مرة أخرى.

وبدأ الخدم في إعداد وجبة طعام شهية، وارتدت نيلوفر حلة حريرية وبنطالاً من الساتان أحضرهما لها والدها من قندهار، ومن ذلك اليوم أصبحت نيلوفر أكثر عطفًا وعونًا لغيرها، متخليةً عن سلوكها المدلل الطائش. يقول بعض الناس إن سليمان قد بعث لها جنيًا ليعلمها كيف تقيم اعتبارًا للآخرين.

هروب عبد الكريم

في جبال الهملايا وثلجها الذي لا ينتهي وتلك الجبال التي تطل على وادي بوذا في باميان أفغانستان، كان يعيش في سعادة قاطع طريق يُدعَى عبد الكريم. كان بيته في كهف وجده وجهزه حسب ذوقه، وكان صديقه الصدوق فرسه.

كانت مهرة سوداء بديعة المنظر، ذات جبهة عريضة وغرة بيضاء تشبه خاتم سليمان، وكانا يعيشان في تناغم تام لم يجد مثله مع واحدة من بنات البشر.

وكان عبد الكريم يتنقل هنا وهناك ليحصل على كل ما تقع يده عليه، كأن يريح مقرض أموال سمين من جزء من ذهبه، أو يأخذ كيسًا من حمولة آخر الجمال في قافلة تعبر الطريق من باميان إلى جلال أباد. كانت حياته تملؤها المغامرة ودائمًا ما يحصل على ما يكفيه ويكفي مهرته ويساعده على العيش في المستوى الذي طالما اعتادا عليه.

وتمكن عبد الكريم بمهارة من تجنب القبض عليه والسجن دون أن يسبب مشاكل كثيرة للقائمين على حماية القانون في تلك المنطقة. كان فقدان حريته يعني الموت بالنسبة له ولروحه الطليقة، وقد أقسم ألا يضحي بحريته الشخصية أبدًا. كانت الأسواق والمقاهي تعج بحكايات عن غنائمه وزياراته السرية لأرامل ونساء ذهب أزواجهن في سفر بعيد، وهي مغامرات كان يستطيع دائمًا أن يخلص نفسه

منيا في الوقت المناسب، وكان دائما ما يترك البنات اللاتي ما زلن تحت وصاية آبائهم أو أعمامهم أو إخوتهن.

وذات مساء كان يجلس بالقرب من النار التي أوقدها ليشوي عليها قطعة لحم، لا يشغل باله شيء على وجه التحديد، ومهرته تقف مربوطة في ظل بعض الأشجار، وفجأة صهلت بقوة ثم سمع صوت صياح في المقابل. تحرك عبد الكريم وفي يده اللحم، وملأه الذعر عندما رأى حصانًا آخر عليه شخص ملثم. بدا على وجهه العبوس والتجهم وتحسس خنجره وصاح قائلاً "من أنت؟ توقف وإلا أقسم بالله أن أقطعك إربًا بخنجري".

توقف الشخص الملثم ونزل من على حصانه وجرى نحره قائلاً "عبد الكريم، عبد الكريم ... ألا تتذكرني؟ أنا زينب من بيت إسكندر جول سائس خيل الأمير، لقد تغيب عن البيت ليشتري بعض الخيول من القبائل التي جاءت هنا قبل ثلاثة أشهر. أتذكر أوقاتنا السعيدة معًا عندما كان مسافرًا من قبل؟ لقد قررت أن آتي إليك هنا وأعتني بك لأنك غير متزوج".

مبهوتًا أمام هذه الكارثة "يا ويحي! لا أظنك تفكرين جيدًا يا سيدتي. خذي بعض هذا اللحم والخبز وكلي سعي فأنا أتضور جوعا، إنها قطعة ممتازة من لحم الضأن، من خروف ذبحته لتوي، وبعد أن تأكلين سآخذك للبيت، ينبغي ألا تكوني هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل، فقد تقابلين أناسا خطرين".

مالت زينب ناحية قاطع الطريق ثم جلست على حجر وأخذت سيخ اللحم وقامت بشيه على النار حتى صار كبابا لذيذًا، وقالت "لن أعود مرة أخرى إلى زوجي، فلا فائدة ترجى منه. دعني أبقى هنا عندك".

لم يرتح عبد الكريم لتلك المـــرأة. كان قلبه يحـــدثه بأن وراءهـــا مشاكل. وأكمل أكله ببطء.

وأكملت هي قائلة "سأجعل لك من هذا الكهف الكئيب مكانا رائعا ومرتبًا، سأحضر وسائدي المفضلة من البيت وسجاجيد من جلد الخرفان، والملاءات الحريرية والأغطية الوثيرة لليالي الباردة، سنعلق لوحات مزخرفة بالرسوم والصور من بخارى وسيكون لدينا طاهٍ يطهو لنا الأرز واللحم اللذيذ، ليس هذا الطعام المقزز. سترى! ستكون فردوسًا لاثنين. يمكن أن تستمر في سرقتك، وسأكون هنا كل ليلة في انتظارك لأسهر على راحتك".

جفل عبد الكريم وأكمل طعامه ومسح يديه ولحيته ووقف وقال "تعالي سأعيدك للبيت". ثم صاح قائلا "كلمتي هنا هي القانون، إن عصاني أحد فسأذيقه طعمَ هذا!"، وأخذ السوط المعلق على الحائط وضرب به الأرض خارج الكهف عدة مرات. اشتعلت النار أكثر ولمعت عيناه في غضب، كان يظن أن هذا سيخيفها ويخرجها من الكهف.

تمتمت زينب وهي تقبض على يديها وبها الخواتم المرصعة بالجواهر قائلة: "كم أنت رائع وأنت غاضب!"، وتنهدت "لا تخـــف! ســـأحاول ترويـــضك مهمـــا طال الزمن".

قال عبد الكريم في غلظة "تعالي! امتطي حصانك. فأنا ذاهب لسرقة قافلة، وقد يكون هناك رمي بالرصاص فغطي وجهك. إن كنت ستقاسمينني حياتي فعليك أن تساعديني على قتل أي شخص يحاول قتلي. أسرعي يا امرأة، فليس لدينا وقت نضيعه، يجب أن نهاجم تجار المجوهرات من سمرقند قبل شروق الشمس، امتطي حصانك بسرعة".

حمل معه خنجرين أو أكثر ومسدس في إزاره، وأطفأ النار بقدميه وصب عليها الماء من قربة جلدية، وجذب زينب لتقف على قدميها وأحكم لف العباءة عليها. لأول مرة كانت تشعر بأنها تود لو تتكفئ على نفسها بعيدًا عنه، فالمؤكد أنه ليس قاطع الطريق الرومانسي الشهير الذي يقضي حياته وحيدًا في كهف ناءٍ بعيد عن تأثير أي امرأة في حياته.

تنحنح عبد الكريم ثم بصق على الشجيرات، فاشمئزت وجفلت زينب. حملها مرة واحدة ووضعها على السرج وأدخل قدميها بقوة داخل الركاب ثم قفز على جواده. كان القمر بدرًا مكتملاً آنذاك، يُضيء نوره كل الطرق والصخور الشاهقة البعيدة.

صاح قاطع الطريق "تقدميني"، وأكمل بقوة "أسرعي، فباقي أفراد عصابتي سيقابلونني على قارعة الطريق في الوادي، وعندما يغطي السحاب وجه القمر سيكون هناك قتال كثير وسنفوز بغنائم كثيرة قبل طلوع النهار"، وضحك ضحكة شريرة وهو يقول "إن كنتِ لا تعرفين كيف تذبحين فسرعان ما ستتعلمين أصول المهنة".

نظرت زينب حولها وهي تلكز حصانها ليتقدم حصانه. كانت فارسة جيدة تتحين فرصتها. وبينما كانا يسيران بحذر كي لا يقعان في الهاوية، تعرفت زينب على طريق بالقرب منهما ولكزت حصانها ليسرع بالعدو. استطاعت أن تتعرف على الطريق في ضوء القمر ورأسها منخفضة وركبتاها تغمزان جوانب الحصان ويداها ممسكتان باللجام بقوة. أسرعت في عدوها وهي تسابق الريح كأنها هاربة من الشيطان.

صاح قاطع الطريق وهو يستجمع كل قوته " أين أنتِ ذاهبة؟ إنك لا تعرفين مكان اللقاء، أنا الوحيد الذي أعرفه. ارجعي، ألا تسمعينني؟"

أسرعت زينب في العدو حتى اختفت عن نظره تمامًا، ولم تلتفت وراءها حتى اختفت نهائيًا.

تطلع عبد الكريم إلى القمر واطمأن على فرسه وكأنه يريد أن يشاركه الضحك على تلك الفكاهة وأطلق ضحكة مدوية، ثم عاد مرة أخرى هو وحصانه، وعندما وصل إلى الكهف نزل وربت على ظهر الفرس وغطاه ثم دخل الكهف وتثاءب ونام. غطى السحاب صفحة القمر. ارتاحت عضلات وجهه، يا له من هروب، لقد كان على وشك أن يفقد حريته للأبد، "أبدًا لن يحدث ذلك مرة أخرى" قال عبد الكريم لنفسه.

وها هي ليلة أخرى سعيدة وهادئة، وسرعان ما غط في سبات عميق وراح يصدر شخيره كما كانت عادته. ها هو قاطع الطريق ينام غير مكترث بشيء، يحلم بفرسه وبنفسه وهو يعدو به في أرض أفغانستان، مملكة الرجال الأحرار التي وهبها الله لهم.

المؤلفة في سطور:

أمينة شاه

كاتبة وباحثة وشاعرة لها اهتمام خاص بالموروث الشعبي، من مواليد أدنبرة بإسكتلنده، لأسرة ذات أصول أفغانية.

قامت برحلات عدة في آسيا وأفريقيا لجمع وتسجيل الحكايات الشعبية، ومن أشهر مجموعاتها المنشورة بالإنجليزية والمترجمة إلى أكثر من لغة:

- نمر التخوم (١٩٣٨)
- حكايات شعبية من آسيا الوسطى (١٩٧٠)
- حكايات الدراويش الأربعة (١٩٧٩)
- حكايات من الأسواق العربية (٢٠٠٩)

المترجمة في سطور:

هبة مرسي عبد العزيز الشايب

- حاصلة على الماجستير في العلوم الإنسانية مـــن الجامعـــة الأمريكية بالقاهرة.

من ترجماتها:

- نموذج المستعمر للعالم: الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوروبية (جي. إم. بلاوت). مراجعـــة د. فيـــصل يـــونس (المركز القومي للترجمة).
- نموذج المستعمر للعالم: ثمانيـــة مـــن مـــؤرخي المركزيـــة الأوروبية (جي. إم. بلاوت). مراجعـــة د. فيـــصل يـــونس (المركز القومي للترجمة).

التصحيح اللغوى: نهــاد فــهــمى

الإشــراف الفنــى: حــســن كـــامــل